شيء.. وكذلك الشرط لو قُلت: «إن تَقُومْ أَقُومْ» ولم تجزم لكان المعنى مفهوماً. والفضْلات كلها تجري هذا المجرى كالحال والتمييز والاستثناء. فاذا قلتَ: «جاء زَيدْ راكبْ. وما في السماء قدر راحة سحابْ. وقام القوم الّا زَيدْ». فلزمتَ السكون في ذلك كلِّهِ ولم تُبيِّن إعراباً لما توقّف الفهم على نصب الراكب والسحاب ولا على نصب زَيد. وهكذا يُقال في المجرورات وفي المفعول فيهِ والمفعول لهُ والمفعول معهُ وفي المبتدإ والخبر وغير ذلك من أقسام أُخر لا حاجة الى ذكرها. لكن قد خرج عن هذه الامثلة ما لا يُفهم الّا بقيود نقيِّدهُ. وانّما يقع ذلك في الذي تدلّ صيغتهُ الواحدة على معانٍ مختلفة» (هذا من كلام صاحب المثل السائر ص ٥) وفي ذلك ايضاً قد غلط شعراء مُفلقون ولغويُّون مبرِّزون وقد حذوا في ذلك حذوَ العامَّة اذ ان من هؤلاء من كان يُظهر التقعُّر في اظهار علامات الإعراب فيجعلها في غير محلّها لكي لا يساوي الغير الذين يُسكنون اواخر الكلم.» «ولا اعني بالشعراء من هو قريب العهد بزماننا بل اعني بالشعراء من تقدَّم زمانهُ كالمتنبي ومن كان قبلهُ كالبحتري ومن تقدَّمهُ كأبي تمام ومن سبقهُ كأبي نوّاس» (المثل السائر ص ٧) وقد كان اللحن معروفاً في اوَّل الاسلام قال السيوطي: «بل قد روينا من انفظ النبي صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال: «انا من قُرَيش ونشأتُ في بني سعد فأنّى لي اللحن». وكتب كاتب لابي موسى الاشعري الى عمر فلحن فكتب اليهِ عمر: أن اضربْ كاتبك سوطاً واحداً. وكان علي بن المديني لا يُغيّر الحديث وان كان لحناً الّا ان يكون من لفظ النبي صلى الله عليهِ وسلم فكأنّهُ يجوّز اللحن على من سواه» (اه كلام المزهر ٢: ١٩٩ و ٢٠٠). والظاهر من ذلك ان اللحن كان قد انتشر قبل ظهور الاسلام بكثير. بخلاف ما قالهُ صاحب مجلّة البيان (١

١) قال صاحب البيان في سنتهِ الاولى والاخيرة ص ٢٨٥ ما نصّهُ بحرفهِ: «ومعلومٌ ما كان للعرب من العناية بلغتهم والمغالاة بمحاسنها والتفنن في اوضاعها واساليبها الى ما لم تلحقهم فيهِ امَّة فلم يكن من المحتمل (كذا) انهم يعمدون الى اهمال شيء منها هو حِليتها وجمالها اعني بهِ الاعراب الذي هو الفارق الاعظم بين العامي والفصيح (كذا بحرفهِ. على اننا نرى ابن الاثير والسيوطي وابن بطوطة وسائر ائمَّة العرب يخالفون رأي الشيخ) وانما كان ذلك ولا شك بعد الاسلام (كذا. والسيوطي يقول ٢: ١٩٩ ما حرفهُ: اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعرِّبين من عهد النبي صلى الله عليهِ وسلم. فقد روينا انَّ رجلًا لحن بحضرتهِ فقال: ارشدوا اخاكم فقد ضلّ. اه بحرفهِ) وسببهُ كثرة اختلاط العرب بالاعاجم من اهل البلاد التي افتتحوها (ويسوؤنا ان نكرّر هنا

ومن علماء اللغة من كان اذا تحيَّر في اعراب الكلمة يُسقط حركاتها . وان مثل هذا العمل يصدر من الائمة ممَّا يسوق الغير الى اقتفاء آثارهم . ونستدلّ على ذلك من كلام المزهر قال (٢ : ١٩٩) « وقال ابو بكر لأن أقرأ فأُسقط احبُّ اليَّ من ان أقرأ فالحن » اه

وممَّا تقدَّم ترى ان الوقف هو الذي اوقف حركة مجرى الحركات على اواخر الكلم . وهو السبب الاعظم بين اسباب اخرى عديدة لكنها على رأينا كلها فرعيَّة . ومن اهمّ

ايضاً كلمة « كذا ») وتعذُّر اقامة الاعراب على ألسنة هؤلاء اذ هو عند العرب مأخوذ بالسليقة واما الاعجمي فلا يتناولهُ الَّا من طريق التعلُّم والتحفُّظ وهو محالٌ في حقّ امَّةٍ بل أُمَمٍ بأسرها (كذا) ممَّن خفقت على رؤوسهم عُقاب العرب فكان ذلك ولا ريب قاضياً باهمال الحركات من اواخر الكلم » . . (اه بحرفهِ) . ثم قال حفظهُ الله ورعاهُ بُعَيد ذلك ما نصّهُ : « فاذا تقرَّر هذا عُلِم منهُ انَّ اللغة العاميَّة قد بدأت بعد الاسلام بسنين قلائل اي منذ عهد الفتوح (كذا . وقد عاشت فُوَيق هذا فساد هذا القول من شواهد ائمَّة العرب) الَّا انها كانت اولاً بين الاعاجم للسبب الذي قدَّمناهُ فهي اذن بدأت باول اعجميّ تكلَّم بالعربية . (كذا . وكُنَّا نحبّ ان يورد لنا اسم هذا الاعجمي ومن ايّ مِلَّة ونحلة وأُمَّةٍ كان . نعم ان هذا هو ايضاً رأي بعض العرب لكنهُ مردود لان هؤلاء الكتبة تصوَّروا ان اختلاط الناطقين بالضاد هو من عهدٍ قريب . لكن التاريخ يثبت بان ذلك من عهدٍ عهيد . ولو راجع الشيخ كتاب اشور وبابل الذي وقف على طبعهِ قبل ان يكتب تلك المقالة تحقَّق انَّ هذا الاختلاط هو منذ قديم الزمن) . ثم انتشرت بين العرب انفسهم ممَّن نشأ في ذلك العهد بمخالطتهم للاعاجم وتكرّر اللحن على اسماعهم حتى فسدت فيهم مَلَكَة الاعراب . ومن شواهد ذلك ما يروى من قصَّة ابي الاسود الدؤلي في وضع مبادئ علم النحو » . . . (ثم حكاية ثانية فثالثة وكلها من بعد الاسلام مع ان اللغويين قد ذكروا غيرها قبل الاسلام) . ثم انتقل الى كلامهِ الى لغة اهل البادية فقال : « على ان ذلك كلَّهُ انما كان في الامصار ومواطن الحَضَر حيث وقع الاختلاط بالعجم . واما في البادية فبقيت اللغة على خلوصها دهرًا طويلًا (كذا . وهذا من اعظم الاوهام . فاننا سوف نثبت لحضرة الشيخ اللغوي خلاف ما يدَّعي) لم يكد يشوبها لحنٌ ولا تبديلٌ كما يشهد بذلك ما ذُكر من مسألة الكسائي وسيبويهِ وكما يُستفاد ممَّا ذكرهُ صاحب الصحاح من انهُ شافَهَ بها العرب العاربة في ديارها بالبادية وذلك في النصف الثاني من المئة الرابعة للهجرة . الَّا انهُ مع كرور الزمن دبَّ هذا الفساد الى البادية ايضاً بمخالطتهم للحضر ولا سيما في الحجاز لكثرة اختلاف الحجَّاج اليهِ من جميع الآفاق وسرى من اولئك الى غيرهم من سائر سكان الاقطار العربيَّة الى ان زالت الفصاحة من ألسنتهم جملةً (كذا . ومن هذا يُستنتج ان زوال الفصاحة يكون بزوال الاعراب من اواخر الكلم . وهو لعمري من مكتشفات هذا الكاتب النحرير لكن يصعب ويشقّ عليَّ ان اقول لهُ اني قرأت في كتاب المثل السائر خلاف هذا الرأي الجديد . قال ابن الاثير في الص ٨ ما حرفهُ : « ينبغي لك ان تعلم انَّ الجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة

هذه الاسباب الثانويّة اختلاط العرب والأعراب بالعجم والأغراب (١). غير اننا نجعل هذا السبب في أُخريات سائر الاسباب. وان قال به جماعة من العلماء. قال في المزهر نقلًا عن واحد من الائمّة: « واعلم ان اول ما اختلّ من كلام العرب وأحوج الى التعلُّم الإعراب. لانّ اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعرّبين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد رُوينا ان رجلًا لحن بحضرته فقال: ارشدوا اخاكم فقد ضلّ ». (المزهر ٢: ١٩٩). وهذا الرأي مردود لان الموالي والمتعرّبين وُجدوا بين العرب قبل الاسلام بكثير لا بل باحقاب عديدة كما يشهد بذلك التاريخ الذي نقلهُ الافرنج عن قدماء الكلدان والاشوريين والعرب انفسهم. لكنّنا لا ننكر ان دخول الأغراب بين الأعراب لم يؤثر شيئًا على الإعراب على ممرّ الاحقاب بل انّنا نجعل ذلك من بعض الاسباب التي فعلت شيئًا من هذا الفعل مع الوقف الذي كان اول من فتح هذا الباب

امّا قولنا انهُ حاصل من الوقف فلنا على ذلك ادلّة لا تُعدُّ ولا تُحصى ولا يُسبر غورها ولا يُستقصى. نأخذها من الذين يهملون تلك العلامات اي عن العامة ونقابلها باقوال النحويين. وكما ان هؤلاء يذكرون للوقف خمسة أنواع. الثلاثة منها اي

ولكنهُ يقدح في الجاهل به نفسهُ لانهُ رسوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم. والدليل على ذلك ان الشاعر لم ينظم شعرهُ وغرضهُ منهُ رفع الفاعل ونصب المفعول او ما جرى مجراهما. وانما غرضهُ إيراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتّصفَين بصفة الفصاحة والبلاغة. ولهذا لم يكن اللحن قادحًا في حسن الكلام لانهُ اذا قيل جاء زيد راكب ان لم يكن حسنًا الّا بان يقال جاء راكبًا بالنصب لكان النحو شرطًا في حسن الكلام « وليس كذلك » (اه). وصارت لغتهم اليوم دون لغة الحضر وابعد منها عن الفصيح (لا ندري ما يُريد بالفصيح. ولا شك انهُ يأتي بهذا اللفظ بمعنى غير المعنى المصطلح عند البيانيين) ودخلت في حدّ الرذل المبذول » (الى هنا كلام البيان)

١) قال الذكيُّ اللوذعي واللغوي الالمعي الشيخ ابراهيم اليازجي في الضياء ١: ١٨٤ ما نصّهُ: « ويقولون (اي اصحاب الجرائد) هؤلاء قوم أغراب يريدون جمع غريب (كذا. بدون ان أُغيّر كلامهُ الصائب) وهذا الجمع غير مسموع في هذا الحرف والصواب غرباء لان جمع فعيل على افعال من الجموع السماعيّة فلا يتعدّى المنقول عنهم ». اه بحرفهِ. قلنا: ان الاغراب ليس جمع غريب كما توهّمهُ بل جمع غُرُب بضمّتين بمعنى غريب كما انّ جُنُبًا تُجمع على أجناب. قال ابو دؤاد في صفة فرس:

وطِمرّةٍ كهِراوة الـ أغراب ليس لها عدائدْ

الإسكان والرَّوم والإشمام هي بمنزلة اهمال الحركة في الآخر. فالعامَّة ايضًا يهملونها على ذلك السَّنَن في أغلب الفاظ كلامهم. وحينًا لا يُسكنون الحرف الاخير فانهم يشدّدونهُ وينقلون حركتهُ الى ما قبلهُ. اي انهم يعمدون في ذلك الى النقل والتضعيف وهما النوعان الباقيان من أنواع الوقف الخمسة (راجع الاشموني على ابن مالك ٤: ١٤٨). واثبات رأينا هذا يستلزم وضع كتاب برأسهِ او على الاقل: وضع مقالة موقوفة على هذا البحث. لكن ذلك لا يمنعنا من ان نذكر هنا بعض الشواهد على حدّ قول القائل: ما لا يُدرك كلهُ لا يترك كلهُ

يقول البغاددة مثلًا: «جا بكُرْ». «ومررتُ بِبكِرْ» وحركتا الكاف غير صريحتين (وهذا البحث قد اعددنا لهُ مقالة أُخرى). ويقول اهل البادية: «جا كاتِلُهْ» والمسلمون من الحضر: «جا كاتْلَهْ». والنصارى: «جا قاتِلو» ولهذا النوع من الوقف اي نقل الحركة من الاخير والقائها على ما قبلها كلام واضح في كتب النحويين. قال احدهم: نقلُ حركة الحرف الموقوف عليه الى ما قبلهُ بشرطين احدهما ان يكون ساكنًا والآخر ان يكون تحريكهُ لن يُحظَّل اي لن يُمنع. فتقول في نحو بكر: هذا بكُرْ ومررتُ ببكِرْ. ومنهُ قولهُ:

عجبتُ والدهر كثيرٌ عجبُهْ من عنزيّ سبَّني لم أضربُهْ

اراد لم أضربْهُ فنقل ضمّة الهاء الى الباء. (اه بحرفهِ عن الاشموني ٤: ١٤٩)

امَّا قول اهل البادية «جا كاتِلُهْ» في «جاء قاتلُهْ». فهو مثل ما تقدَّم ذكرهُ من نقل حركة الآخر الى ما قبلهُ. وامَّا قلب القاف كافًا فمن لغات العرب القديمة كما صرَّح بهِ صاحب المزهر (١: ٢٦٨) وذكر امثلة كثيرة منها قسط وكسط وسكع وسقع والدك والدق. وامَّا إسكان التاء فهو ليس سكونًا صريحًا بل حركة مختلسة. والاختلاس كان معروفًا عند قدماء العرب

وامَّا قول المسلمين من الحضر «جا كاتْلَهْ» فانهم في ذلك لم ينقلوا حركة الاخير الى ما قبلهُ. بل اسكنوا الاخير وأبقوا اللام ساكنة كما كانت عندهم قبل اتصالها بالضمير فاجتمع عندهم ثلاثة سواكن فحركوا الثاني بالفتح طلبًا للخفَّة كما هو مثبت في علم الصرف. وأبقوا البقيَّة على حالها. ومن ذلك ايضًا ترى ان هذا الكلام يرجع الى فصيح بعد التحقيق

واما قول النصارى: « جا قاتِلو » فانهم لمَّا سكَّنوا الآخر باديء بدءٍ وقالوا : « جا قَاتِلْه » ضَعُف صوت الهاء فأسقطوها وعوَّضوا عنهــا باشباع اللام وقالوا : « قاتِلو » (١

والخلاصة ممَّا مرَّ بك ان اصل حركات الاعراب كلمات كان لها معانٍ قائمة بذاتها ثمَّ نُقلت الى أحرُف طلبًا للخفَّة في الكلام ثم الى حركاتٍ اشارةً الى اصلهــا الذي يُقابلها. ثمَّ أُهملت استغناء عنهــا بفهم المراد مع تركها. وقد تحقَّقتُ ايضًا امرًا ثانيًا لم نرصد هذه النبذة لهُ وهو ان اللغة العاميَّة ترجع الى لغة فصيحة بعد مراجعة الامهات التي تولَّدت عنها. فسبحان من يغيّر كلَّ شيءٍ. ولا يتغــيَّر دلالةً على انهُ هو وحدهُ الحيُّ الباقي :

تمضي وتقضي بابةٌ بعد بابةٍ وتفنى جميعًا والمحرِّك باقِ

هل ملك بنو غسَّان دمشق الشام

للاب هنري لامنس اليسوعي

ذلك امرٌ كنَّا انكرناهُ في مقالتنا الحديثة عن اصل الروم الملكيين (راجع المشرق ٣: ٢٧٣). على انَّ جناب الكاتب الاديب امين ظاهر خير الله لم يصادق على قولنــا

---

١) ونختم هذه المقالة قائلين: انهُ لا يمكن اليوم وجود موطنٍ من مواطن المعمور يتكلَّم اصحابهُ على مقتضى اصول الاعراب وذلك امَّا ان هؤلاء يُعربون اواخر الكلم ويُسقطون الحركات عند الوقف. وامَّا انهم لا يُعربونها. فان كان الثاني فقد خالفوا تلك الاصول. وهذا اوضح من الصبح لذي عينين. وان كان الاول فيستحيل وجود مثل هؤلاء الناس على ما ذكرنا من تأثير فصل الكلم الاخيرة على مسامع الانسان وذاكرتهِ كما اسلفناهُ في هذه النبذة. ولهذا لا نُصدّق ابدًا ما اوردهُ صاحبا القاموس والتاج ونقلهُ البيان. وهذا نص هــذه الجملة بعد ان حذفت بعض الزوائد المستطردة. قالت: « جاء في القاموس في مادة (ع ك د) ذكر الجبل المسمَّى بعَكاد وهو جبل باليمن قرب مدينة زبيد زعم انَّ اهلهُ باقون لعهدهِ على اللغة الفصحى وذلك بين المئة الثامنة والتاسعة للهجرة. وزاد في تاج العروس قولهُ الى الان اي الى عصر الشارح وهو اواخر المئة الثانية عشرة قال ولا يقيم الغريب عندهم اكثر من ثلاث ليالٍ خوفًا على لسانهم. اه. وزاد البيان كلامًا نستحسنهُ كل الاستحسان: « وهو من الغرابة بمكان. والله اعلم »

فحاول الردّ عليه في المنار (ع ٢٩ ص ٤٥٧) واحتجَّ في تفنيدنا على حجج رأينا ان نمعن فيها نظر الانتقاد لنتبيَّن صحَّتها. هذا ونثني على كاتب المنار لتحاشيه خشنة التعبير في احتجاجه فردَّ علينا بكلام يُستشفُّ من ورائه في الغالب اللطف والادب كما هو شأن افاضل العلماء في ابحاثهم

١ اول حجَّة استند اليها الخواجا امين خير الله ذكرُ الملك الحارث صاحب دمشق في عهد القديس بولس الرسول في رسالته الثانية الى اهل كورنتوس (١١ : ٣١). قلنا اننا لا ننكر تولّي الحارث على دمشق. ولكن اين الادلَّة على كون هذا الملك غسَّانيّ او من أجداد بني غسَّان؟ بل اين الادلَّة على كونه عربيّ؟ فهيهات ان يقوى خصمنا الاديب على اثبات كل ذلك. والصواب انَّ الحارث الذي اراد القبض على القديس بولس كان ملك النبطيين. والنبطيون فرعٌ من الآراميين دعاهم البعض عربًا على سبيل التوسُّع والمجاز ولوقوع عاصمتهم في تخوم جزيرة العرب. وكان انتهاء دولة النبطيين في القرن الثاني للمسيح. امَّا الغسَّانيون فانَّ ذكرهم ورد لاول مرَّة في أواخر القرن الرابع اذ رحلوا بعد انفجار سدّ مأرب من بلاد اليمن وهاجروا الى تخوم الشام. فمن ثمَّ قد وهم جناب الكاتب الاديب في قوله وخلط بين امَّتين او قبيلتين تختلفان ايّ اختلاف من حيث الاصل والجنس واللغة والهيئة الدينيَّة وينفصل بينهما ردحٌ من الدهر لا يقلّ عن ثلاثة قرون. فكيف فات ذلك الخواجا خير الله؟ وان كان لديه براهين قاطعة في ذلك فما لهُ لم يعرضها؟ ثمَّ اننا نسألهُ البرهان على قوله «انَّ لهؤلاء الغسَّانيين البناء الذي تُشاهد آثارهُ عند نبع الفيجة» (١). فان امكنهُ ان يأتي بالشواهد الراهنة على ذلك كنَّا لهُ من الشاكرين

٢ والحجَّتان الثانية والثالثة اللتان ناقض بهما الاديب ظاهر خير الله رأينا في ولاية غسَّان على دمشق اخذهما جنابهُ من قصيدتين لحسَّان بن ثابت وللنابغة الذبياني مدحا بهما بني غسَّان وورد فيهما اسم «جلّق» فزعم خصمنا انَّ بني غسَّان تولّوا على

١) قد اتى الخواجا خير الله في بسط براهينه بامور كثيرة تقتضي بحثًا مطوَّلاً لا يسعنا الخوض فيه في نبذتنا هذه الوجيزة. وانما ننبّه خصمنا على انَّ تاريخ الجاهليَّة كثير الالتباس لا يجوز لهُ ان يدخل في منازاته دون تروٍّ وحذر ولولا ذلك لزلَّت قدمهُ وتاه في بيداء الضلال

دمشق لان جلّق المذكورة في هذه الابيات هي «من اسماء دمشق».والامر ليس كما ارتأى لانّ اكبر علماء عصرنا في الآثار الشرقيّة قد اجمعوا على ان جلّق ليست دمشق «ولا من اسماء دمشق» (١٠١) اما تعريف جلّق وموقع هذه البلدة فلا حاجة الى شرح ذلك هنا لانهُ يخرج بنا عن حدود الايجاز الذي تحرّيناهُ والراجح انّ جلّق المذكورة كانت في الغوطة ليس بعيدًا عن البردى. وفي هذا كفاية لردّ قول جناب امين خير الله. وان شاء زدناهُ عن ذلك ايضاحًا

٣ بقي لخصمنا حجّة اخيرة استند اليها وهي عبارة وردت في جريدة الهلال (٦:٦) قال فيها صاحبها: «انّ السموأل سيّر امرء القيس الى الحارث (الغسّاني) عامل قيصر على الشام» فاستنتج من هذا القول انّ بني غسّان ملكوا دمشق لان الشام تدخل فيها دمشق ان عُدّت قطرًا وهي مرادفة لها ان عُدّت مدينةً

جوابنا اننا لا نجهل انّ بعض مؤرخي العرب كتبوا ما نقلهُ عنهم صاحب الهلال. فقد جاء في تاريخ اليعقوبي مثلًا (١:١٧٧) في كلامهِ عن جند دمشق: «وكان عمّال ملك الروم بها آل جفنة من غسّان» ولكن يا ترى ما معنى هذا القول؟ هل يُراد بهِ ان الغسّانيّين كانوا ولاةً على دمشق؟ كلّا. وانّما المراد ان ملوك غسّان كانوا عمّالًا لقياصرة الروم في جند الشام اي انّ ملوك القسطنطينيّة وكلوا اليهم النظر والولاية على العرب الساكنين في انحاء الشام المجاورة لدمشق كما كان الاكاسرة عهدوا بنظارة عرب العراق والجزيرة الى ملوك الحيرة. فلكي تصحّ حجّة خصمنا كان يقتضي عليهِ ان يأتينا بنصّ قديم لكتبة العرب يثبتون فيهِ ان بني غسّان كانوا يملكون على دمشق ولا نظنّهُ يفعل. اما الشاهد المأخوذ من تزيين نهاية الارب لاسكندر ابكاريوس الذي ورد فيهِ ذكر قصور الغسّانيّين من جملتها قصرٌ ابتنوهُ في دمشق فليس ببرهان كما لا يخفى اذ ليس كلّ من يبني قصرًا في بلدٍ بصاحبٍ لهذا البلد. على انّ النصّ المذكور حديث يستدعي ملاحظات عديدة لا نرى وجهًا لاثباتها في هذا المكان

ثمّ اذا وُجد في تواريخ العرب شبهة من هذا القبيل فيزيلها الكتبة اليونان والسريان فان في كلامهم من الوضوح ما ليس بعدهُ مزيد. فانهم طالما دوّنوا في تآليفهم انّ

٢) راجع مقالة نلدك في امراء غسان Nöldeke : *Die Ghassan. Fürsten*, p. 47 وتأليف دي پرسڤال في تاريخ الجاهليّة C. de Perceval : *Hist. des Arabes* II; 223.

الغسانيين لم يحكموا على احد في الشام الّا على العرب . وهذا الامر تؤيده الآثار التي اكتشفها المستشرقون حديثًا في حوران (راجع ودنتون Inscriptions de Syrie, n^os 2110 et 2562, c) فثبت اذن معنى قول مؤرخي العرب ان بني غسان كانوا في الشام عمالًا لملوك الروم

هذا ولا نكتفي بما سبق فنقول ان الغسانيين ليس فقط لم يملكوا على دمشق بل لم يحصلوا قطّ على مدينة حريزة من القطر الشامي كما بيّن ذلك باجلى برهان المستشرق الشهير نلدك في تاريخ امراء غسان (ص ٤٧) . كانت عاصمتهم وكرسي دولتهم في الجابية في جولان وهي عبارة عن قرية يسكنها قومٌ من الحضر مع لواحق تُحدق بها يأوي اليها اهل الوَبَر وكان ملوك غسان في وسطهم كشيوخ القبيلة يقطنون قصرًا ابتنوهُ في ظهرانيهم

وقد مرَّ لنا في المشرق (١ : ٤٨٤) كلام مسهب في احوال الغسانيين وما كان من امرهم وسعة مملكتهم ونفوذ سلطتهم وطاعتهم لملوك الروم فلا حاجة الى التكرار . ويُستفاد من مقالتنا المذكورة السابقة ان ملوك غسان تولّوا من قبل القياصرة قيادة العرب في بادية الشام ولم تقوَ شوكتهم في مدنها . وكان لهذه المدن ولاةٌ من الروم يسوسونها ويُعنون بشؤونها لاسيما قواعد المدن كدمشق التي كانت منذ القرن الخامس حاضرةَ لسوريّة الوسطى

هذا ولا يقبل العقل السليم ان ملوك القسطنطينية ولّوا على مدينة معتبرة كدمشق قومًا لم يصدقوهم قطّ الخدمة وكثيرًا ما نشروا عليهم لواء العصيان . وانما الروم كانوا يؤلفون قلوبهم بما يصلونهم من الصلات ويخلعون عليهم من الخلع ويجودون عليهم من الالقاب والامتيازات ويجعلون لهم من الاقطاعات والرواتب وما غايتهم في ذلك الّا ان يستميلوهم لمحاربة ملوك العجم وضبط عنان عرب البادية . اما السلطة فكان ملوك الروم لا يمنحون منها لملوك غسان الّا النزر القليل لئلا يستفحل امرهم ويشتدّ ركنهم . وكان الروم في وقت الحرب يحملون الغسانيين على اعدائهم لكنّهم لم يدخلوهم في عداد جيوشهم المنظّمة وكانوا يراقبون كلّ حركاتهم ويتخوّفون خيانتهم . واذا انتهت الحرب كانوا ينزعون عنهم العُدَد والاسلحة التي اعاروهم ايّاها لوقت القتال . وممّا ورد في تاريخ اليونان عن بعض ملوك غسان انهُ كان تحت حماية احد ولاة الروم . فهذا كلهُ دليل واضح على صحة قولنا وبطلان

قول جناب خصمنا عن ولاية الغسانيين على دمشق. ومن أراد البيّنات المفصّلة على ذلك فعليه بمراجعة كتاب العلّامة نلدك في امراء غسان

وقبل الختام نبدي للخواجا امين خير الله ملاحظةً بخصوص ما كتبهُ عن الاسم الحديث الذي اتّخذهُ الروم غير الكاثوليك اعني بهِ اسم الاورثوذكس بدلًا من اسم الملكيين فنقول ان كان جنابهُ يستصوب هذا اللقب فنحن لا نشاحهُ فيهِ. بيد اننا لا نزال مع كثيرين من القراء نظنّ انّ الأَولى بطائفة قديمة ان تحافظ على اسمها المميّز لها فلا تتّسم باسمٍ حديث شائع بين مذاهب تخالفها بالاصل والمعتقد. فما قول جناب المنتقد عن أُسرة شريفة كأسرة بربون مثلًا تنبذ اسمها لتنعت نفسها بلقب يعمُّ غيرها كثيرين. أفليس هذا يغضّ من شأنها؟ فليحكم ذوو البصيرة

رئاسة

الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق

في القرن الثاني للنصرانيّة

الاب يوحنا راي اليسوعي

بيّنّا في مقالة اولى صدّرنا بها العدد الاول من هذه السنة (ص ٢) ان رئاسة الاحبار المطلقة احدى القضايا الروزيّة التي استلمتها الكنيسة من التقليد الرسولي وجرى بمقتضاها المسيحيون في بدء النصرانيّة في جميع انحاء المعمور اذ لم يكن وقتئذٍ شقاقٌ بين الكنائس وكان «لجمهور المؤمنين قلبٌ واحد ونفس واحدة» (اعمال ٤: ٣٢)

ولم يكن شرقنا العزيز في طاعتهِ لكرسي رومية مخالفًا للغرب بل كان الخافقان يجريان في ذلك جري خيل الرهان في حلبة الميدان. ومصداقًا على هذا القول جمعنا في نبذتنا السابقة ما وجدناهُ في بطون التاريخ الشرقيّ من الشواهد الناطقة والادلّة الصادقة ما يكفي لبيان هذه القضيّة في القرن الاول للنصرانيّة

على انّ هذه الحلقة الاولى ما كانت الّا بدء سلسلة متواترة امتدّت منذ غرّة النصرانيّة الى عهدنا دون ان تنفصم بتةً. واليوم رأينا ان نثبت هذه الرئاسة البابويّة

على كنائس المشرق في القرن الثاني لظهور الدين المسيحي ولا غرو انَّ في شواهده لحجّةً نيّرة لا يمكن نقضها ولا يستطاع ردّها

والشاهد الاول الذي نلقاهُ في اوائل المئة الثانية ونجا من آفات الدهر انّما هو للبابا الشهيد القديس سكستوس او كسِتُس الاول المتولّي الخلافة البطرسيّة من سنة ١١٧ الى ١٢٧. فانَّ هذا القديس العظيم الذي تكرّمهُ الكنيستان الشرقيّة والغربيّة وتطرتان عظم فضائله (١ وجّه الى الكنائس جماء رسالتين (٢ صدَّر الثانية منهما بهذا العنوان « سكستوس اسقف الكنيسة الرسوليّة العامّ ». فقرَّر بهذا الاسم الجليل ايمان الكنيستين في الرئاسة البابويّة. اذ لا نجد غيرهُ من الاساقفة خُصَّ بمثل هذا الاسم او تجاسر ان ينسبهُ الى نفسهِ. ولا يقولنَّ قائل انَّ سكستوس تعدَّى طورهُ فادَّعى امرًا باطلًا فانَّ لنا في حياتهِ واستشهادهِ ضامنًا عن فضائله السامية التي لم تسمح لهُ بدعوى الزور. ويشهد ترتليان الكاتب الكنسي في اثناء هذا القرن الثاني وبعد انضوائهِ تحت لواء الهراطقة انَّ نوّاب المسيح على الارض كانوا يدعون بمثل هذه الاسماء الدالّة على سموّ السلطة الدينية فانّهُ في كتابهِ عن العفّة (ف ٤) يلقّب البابا فكتور « بالحبر الاعظم واسقف الاساقفة »

وفي هذه الرسالة نفسها يدعو سكستوس اساقفة الارض كلها الى « رفع امورهم الى الكرسي الرسولي اذا ما حكم عليهم احدٌ ظلمًا ». ثم يحرّضهم « ألّا يتأخروا عن المجيء الى عاصمة الايمان عندما يستقدمهم لبعض شؤون كنائسهم الدينيّة ولا يعودوا الى كراسيهم دون رسالة ممضاة من يد الحبر الروماني » ثم يردف قائلًا: « انَّ الاساقفة قد أُمروا بمخابرة هذا الكرسي الرسولي ليصونهم ويذبّ عن حقوقهم لانَّ الرسل قد قرَّروا وفقًا لامر الرب بان يدافع هذا المقام الرسولي عن حقوق الاساقفة في مستقبل الزمان كما انهم منهُ اتخذوا مل‌ء سلطانهم في البدء ». فهذه الشهادة غاية في الوضوح تزيل كل شبهة عن الرئاسة البابويّة على الشرق كما على الغرب. ولذلك حاول المبتدعون انكار صحّتها غير انها اثبت وأصدق من ان يقوى الماحكون على نقضها وابطالها

١) راجع الجزء الاول من شهر نيسان (ص ٥٣٣) للبولنديّين
٢) راجع اعمال الآباء اليونان في مجموع مين PP. GG. V, *col.* 1077

والحق يُقال انّ سكستوس لو لم يكن عارفاً تمام المعرفة انّ للكرسي الروماني الحل والعقد في الامور الدينيّة وانّ كلّ الكنائس لا يخالجها ريب في ذلك لما تجاسر ان يدَّعي لنفسهِ سلطة لا حقّ لهُ فيها ولأثار عليهِ لطمعهِ وتطاولهِ البغضَ والشحناء . على أنّنا لا نرى احداً من الاساقفة اقدم على ان يكسر من زهوهِ ويطأ من نخوتهِ

بل نرى بعكس ذلك انّ اساقفة العالم كانوا يلبّون منذ ذلك العهد دعاء الحبر الاعظم فيتقاطرون الى رومية لمشاهدة خليفة بطرس وطلب مشورتهِ في مُعضلات الامور . وقد وجد صاحب العاديات الرومانيّة الكُنْت دي روسّي في ديماميس رومية عدّة مدافن لاساقفة كانوا أتوا من كلّ فجٍّ لزيارة نائب المسيح على الارض فماتوا في امّ المدائن

وكان علماء العالم المسيحيّ في القرن الثاني يقدمون رومية ليستقوا من ينابيع تعاليمها . نخصّ منهم رجلين من مشاهير الشرق القديس يستينوس الشهيد النابلسيّ المولد والقديس هجزيبوس اول المؤرخين النصارى وكان هذا من اهل فلسطين دخل رومية ليأخذ عن احبارها التقاليد المسيحيّة التي ورثوها من الرسل وتلاميذهم وعنهُ اخذ ابو التاريخ الكنسي اوسابيوس القيصري كثيراً من اخبارهِ الدينية كما نبّه على ذلك . وقد شهد هجزيبوس لصحة ايمان الكنيسة الرومانيّة ومحافظتها على التعاليم الرسوليّة (١

وما لنا نقول عن اساقفة الشرق واعيان النصرانيّة فانّنا نرى زعماء الشيع وائمّة المبتدعين انفسهم في هذا القرن الثاني يثبتون رئاسة الكرسي الروماني فانهم كانوا يتقاطرون من الشرق الى رومية لعلّهم يصيبون حظوى عند خلفاء بطرس الرسول ورجاء ان يبثّوا زوان تعاليمهم في الكنيسة التي لا يغويها ضلال . ومن جملة هؤلاء اصحاب البدع كيرنثوس وڤالنتان وكردون ومرقيون الذين بارحوا آسية الصغرى ومصر لينفثوا في عاصمة الكثلكة وباء اضاليلهم لكنّ رؤساء الكنيسة كانوا ساهرين على وديعة الايمان فلم يكونوا ليسمحوا للذئاب الخاطفة ان تعيث في حظيرة المسيح بل صوّبوا عليهم سهام الحرم وقطعوهم من دوحة الكنيسة . وفي يدنا رسائل كتبها البابا القديس بيوس الاول والقديس هيجينوس وغيرهما ورد فيها رذل هذه الشيع الاثيمة وتحذير المؤمنين من مكر اصحابها . وعلى هذا المنوال ترى عظماء الاحبار قد شذّبوا حينئذٍ اهل البدع كما

١) اوسابيوس في الكتاب الرابع من تاريخهِ الفصل ٢٢

سبق بطرس الصفا ونفي من الكنيسة سيمون الساحر رأس الخوارج

ومئن اعترفوا برئاسة البابوات على كنائس الشرق في مطاوي القرن الثاني للمسيح اساقفة اجلاء وشهداء افاضل وقديسون كرام شرّفوا بعلمهم وفضائلهم كنائس آسيّة الصغرى التي انشأها الرسول يوحنّا الحبيب. ولا غروَ فانّ معلّمهم كان ارشدهم الى هذه الطاعة لخلفاء هامة الرُسل وكرّر عليهم ما سمعهُ من فم الربّ ودوّنهُ في انجيله الشريف انّ لبطرس وخلفائه أُعطي السلطان لرعاية قطيع المسيح سواء كانوا من الخراف او من النعاج (يوحنّا ٢١ : ١٥)

واوّل هؤلاء الاساقفة القديس پوليكرپوس اسقف ازمير وتلميذ يوحنّا الحبيب. فان هذا الحبر الجليل الذي كان اسمهُ شائعاً في كلّ انحاء المشرق كان ورث عن يوحنّا الرسول عادة اقامة عيد الفصح في اليوم الرابع عشر من هلال شهر نيسان وهو اليوم الذي يعيّد فيهِ اليهود فصحهم وكان يتبعهُ في ذلك بعض اساقفة آسية الصغرى انّ بقيّة الكنائس تبعاً لتقليد كنيسة رومية المتواتر كانت تتفق جميعها على الاحتفال بعيد الفصح في الاحد الواقع بعد اليوم المذكور. فسعى الاحبار الرومانيون في إزالة هذا الاختلاف بين الكنائس واستدعى البابا انيكيتوس اسقف ازمير ليفاوضهُ في هـذا الشأن فاتى پوليكرپوس الى حاضرة النصرانيّة واجتمع باسقف رومية فتباحثا في هذا الصدد زمناً طويلاً فكانت نتيجة هذه المباحثة انّ البابا سمح لاسقف ازمير واساقفة آسيّة بالمحافظة على عادتهم وأجّل حكمهُ في ذلك الى وقت انسب ثمّ رخّص لهُ (παρεχώρησεν) بان يقدّم في كنيسة رومية الاسرار المقدّسة. هذا ملخّص ما ذكرهُ ايريناوس ونقلهُ عنهُ اوسابيوس القيصري. وفيهِ كما ترى شهادة جديدة لسلطان الكنيسة الرومانيّـة على كنائس الشرق

غير انّهُ بعد وفـاة پوليكرپوس حصل اضطراب بين الكنائس في هذا الامر فعُقدت في الشرق مجامع مختلفة لفحص قضيّة عيد الفصح فاستصوبت كنائس فلسطين وسوريّة وبلاد الرها عادة الكنيسة الرومانية ورفعت الى خليفة بطرس نتيجة مفاوضات الآباء. فصادق البابا ڤيكتور على اعمال هذه المجامع ودعا كنائس آسيّة الصغرى الى نَبْذ عادتهم واتّباع بقيّة الكنائس فأبى الخضوع پوليكراتوس اسقف افسس وكتب

في ذلك الى البابا ليحلّل إياه. وقد اثبت اوسابيوس في تاريخهِ كتاب پوليكراتوس وعقَّبهُ بقولهِ انَّ البابا ڤيكتور استاء من عصيان الاسقف المذكور وذويه ونشر براءة ليحرمهم من الكنيسة الكاثوليكيَّة. بيد انَّ بعض الاساقفة توسَّلوا الى البابا ليغضَّ النظر عن صنيعهم ويدعهم وعادتهم المأخوذة عن الرسول يوحنَّا. وكان من جملة من توسَّطوا بين الحبر الروماني وكنائس آسية القديس ايريناوس اسقف ليون وتلميذ پوليكرپوس فنال من مراحم البابا ان يضرب عن العصاة صفحًا. فداوموا عادتهم في تعييد الفصح مدَّة الى ان انحازوا الى عادة جميع كنائس. ولمَّا التأم المجمع النيقاوي في ايام قسطنطين امر الآباء باقامة عيد الفصح في كلّ الكنائس جريًا على تقليد كنيسة رومية

فلعمري أيوجد برهان اقطع ودليل ألمع ممَّا سبق لبيان سلطان الكنيسة الرومانيَّة على الكنائس الشرقيَّة في امور الدين ؟ أفيقول المعترض انَّ الاحبار العظام ادَّعوا لهم رئاسة وهميَّة. لكن كيف يرضى العقل بان كنائس العالم جمعاء تقرّ بهذا السلطان ان لم يكن لهُ اساس متين في الانجيل الطاهر والتقليد الرسولي. لاسيما انَّ اساقفة رومية كانوا وقتئذٍ يعيشون في ضروب المحن والاضطهادات لا يكادون يخرجون من دياميس رومية وليس لهم من السلطان المدني ذرَّة واحدة. فليعتبر العاقل

*

وفي هذا العصر عينهِ اشتهر في بلاد ليديا من اعمال آسية الصغرى مليتون اسقف سرد. وقد اكتشف حديثًا الكردينال پيترا كتابهُ المعنون بالمفتاح جمع فيهِ ملخَّص العلوم الدينية. ومن جملة ما ورد فيهِ ما ذكرهُ مؤلّفهُ الشهير عن وحدة الكنيسة ووحدة ايمانها ونظامها الموكول امرهما الى الكرسي الاول (يريد كرسي بطرس) الذي يعدُّهُ « كمركز التعليم ومرشد العقول ومنظّم الاسرار » (١

وممَّن ادّوا في آسية الصغرى شهادةً لرئاسة خلفاء بطرس في القرن الثاني للمسيح القديس ديونيسيوس اسقف كورنثوس فقد جاء لهُ في تاريخ اوسابيوس القيصري (ك ٤ ف ٢٣) رسالة رفعها سنة ١٦٦ م الى بابا رومية القديس سوتير يشكر لهُ فيها تعطُّفهُ على كنيستهِ والاحسانات التي ارسلها في وقت المجاعة لمؤمني كورنثوس وفيها يقول: « انَّ الاحبار الرومانيين لما طُبعوا عليهِ من الهمَّة والفضل قد اعتادوا منذ غرَّة النصرانيَّة ان

١) راجع الجزء الثالث من مجموع الكردينال پيترا المعنون Spicilegium Solesmense

يمدُّوا يد المساعدة للكنائس في كلّ بلدة ». وفي هذه الرسالة يذكر الكاتب انَّ رسالة البابا القديس اكليميس تُقرأ كلّ يوم احد في كنيسته (راجع المشرق ٣: ٨)

وهنا لا يسعنا ان نضرب صفحاً عن شهادة ايّ شهادة وردت في القرن الثاني عن سيادة كنيسة رومية المطلقة وسيطرة احبارها على كلّ البيع. وهي لقديس تفتخر به الكنيستان الشرقيَّة لانهُ من ابنائها والغربيَّة لأنهُ فيها سُيّف ألا وهو القديس ايريناوس اسقف ليون وتلميذ پوليكربوس فانَّ هذا الامام الجليل وضع تأليفاً ضدَّ الهرطقات ضمَّنهُ طرائف بديعة في التقليد الكنسي. ومن جملة ما دوَّنهُ في الفصل الثاني من كتابه الثالث قولهُ في محاجَّة المبتدعين وتبكيتهم على اهمالهم التقاليد الرسولية ليحدثوا شيئاً جديدة (١): « انَّ التقاليد الرسوليَّة مصونة في جميع كنائس المعمور يقف عليها كلُّ من لا تعميه الاهواء. فاذا استقرينا هذه الكنائس وطلبنا رأي الاساقفة الذين لا يزالون منذ عهد الرسل يدبّرون المؤمنين اجابوا جميعاً انهم لم يعرفوا ما ابدعهُ هؤلاء الاراطقة من الآراء الحديثة . . ولكن يطول بنا ان ندوّن في كتابنا سلسلة كلّ الكنائس الرسوليَّة وتواتر اساقفتها فكفانا لدحض الاراطقة ان نثبت هنا خلافة تلك البيعة العظمى واقدم الكنائس كلها واعرفها من الجميع وهي التي أسسها الرسولان المجيدان بطرس وبولس ونبيّن تقليدها المتواتر في امور الايمان كما استلمتهُ منذ القدم وحافظت عليه بلا انقطاع فبهذا التقليد وايمان كنيسة رومية نحن نفحم جميع الهرطقات . . . لانهُ يقتضي على كلّ كنيسة في المسكونة جمعاء ان تلتجئ الى هذه الكنيسة (الرومانيَّة) لاجل سموّ رئاستها وتقدُّمها »

فالله من شهادة لا تبقي مجالًا للتأويل او سعةً للسفسطة بل توضح باجلى برهان انَّ الكنيسة الرومانيَّة هي امُّ الكنائس وانَّ لها عليهنَّ سموّ الرئاسة وانهُ لا بُدَّ لكلّ كنيسة في الخافقين ان تلتجئ اليها وتأخذ عنها فكلُّ كنيسة انفصلت عنها انقطعت عن دوحة الايمان وكلُّ كنيسة اتَّحدت بها نالت من جذورها مائيَّة الحياة والخلاص

ومن الاكتشافات العجيبة التي يحقّ لعصرنا هذا ان يفتخر بها حجرةٌ ضريحيَّة وجدها احد علماء البروتستانت يُدعى رَمساي (Ramsay) في بلاد الاناضول سنة

(١) راجع اعمال الاباء اليونان في مين ٧ . ٨٤٨

١٨٨٣ وعلى هذه الحجر كتابة غاية في الشأن والخطر ورد فيها شهادة نيّرة عن الرئاسة البابويّة في القرن الثاني للمسيح. والضريح المذكور هو للقديس أبرقيوس اسقف مدينة هيرابوليس اقامهُ لنفسهِ قبل وفاتهِ وكتب عليهِ باليونانيّة ٢٢ سطرًا تتضمَّن ملخَّص حياتهِ واشارة واضحة الى اعظم اسرار الكنيسة الكاثوليكيّة اعني سرّ القربان الاقدس. وهذا الاثر الجليل قد تكرَّمت الحضرة السلطانيّة اعزَّها الله وارسلتهُ كهديّة ثمينة لحبر الاحبار لاون الثالث عشر بنسبة يوبيلهِ الاسقفي وهو اليوم من اجمل ما يزورهُ الزوَّار في المتحف الواتيكانيّ

امَّا قولهُ عن رئاسة كنيسة رومية فهو جدير بالاعتبار. وهاك تعريبهُ:

« انَّ اسمي ابرقيوس وانا تلميذ الراعي البارّ... فهو الذي ارسلني الى رومية. كي اعاين تلك المدينة الملكيّة واشاهد ملكتها اللابسة درعًا ذهبيًا واحذية ذهبيّة وارى ذاك الشعب المتختّم بخواتم سنيّة.. »

ففي هذه الكلمات الوجيزة اشارة واضحة الى مقام الكنيسة الرومانيّة التي شبَّهها ابرقيوس بملكة بهيّة الجمال تسمو فخرًا على غيرها من الكنائس وابناؤها كسادة متختّمون بخواتم السراة والأعلام. ولعلَّ قائلًا يقول انَّهُ اراد مدينة القياصرة لا الكنيسة الرومانيّة. اجبنا انَّ الراعي البار الذي حدا ابرقيوس الى مثل هذا السفر لم يكن ليبالي بمدينة وثنيّة تكاثر فيها الجور وساد الفساد ولا يمكن حمل كلامهِ الّا على الملكة الروحيّة عروسة ذلك الراعي الصالح الذي خطب الكنيسة وجعلها لهُ كقرينة افتداها بدمهِ الثمين وطهَّرها باسرارهِ المقدسة (افس ٥: ٢٧)

فهذه هي الشواهد العجيبة التي نجدها في القرن الثاني للمسيح المثبتة بتقدُّم الكنيسة الرومانيّة وسيطرتها على كنائس الشرق. فسبحان من قرَّر ايماننا واثبتهُ بالبيّنات العديدة لئلا تتلاعب بنا اضاليل البدع وترّهات النحل

الاحلام

للشاب الاديب جرجي عطيّة احد طلبة مدرستنا الكلية

ورد الى ادارة المشرق الاغرّ سؤَال من احد ادباء الموصل يطلب فيهِ ايضاحًا وتعليلًا عن مسئلة الاحلام واسباب حدوثها ممَّا ورد التلميح اليهِ عرضًا في القصَّة التي

نُشرت بعنوان « الى الغد » في الجزء الثالث من هذه المجلة معرَّبة بقلم هذا العاجز عن ميلڤوا الشاعر الفرنسوي المشهور(١. وقد رأى كل من قابل الفرع منها بالاصل مبلغ الامانة التي التزمتها في النقـل وعدم تصرُّفي شعرًا او نثرًا الّا حيث دعتني الى ذلك احكام اللغة وذوق اهلها . هذا فضلًا عن اني لم أُعنَ بها الّا على قدر ما سمح لي به ضيق وقتي واشتغالي الان عن العربيَّة والكتابة. على انهُ قد سرَّني ما رأيتهُ من رضى الادباء عنها وعدّهم اياها بين خيرة القطع الادبيَّة المنقولة عن الافرنج (المجلة ٢ : ٨٨٢) فاني لم أقدم على تعريبها الّا لتكون مثالًا على بلاغة هؤلاء القوم. وعلى كل حال ارجو العفو عن القصور. ولمَّا كان للسؤال المذكور علاقة بتلك القصَّة احببت ان اجيب عليهِ بوجه الايجاز فاقول:

لا مشاحَّة في ان اكثر الاحلام هي آثار الافكار التي تدور على خاطر الانسان في اليقظة وتنصرف نحوها جلُّ قواهُ العقليَّة وذلك لان قوى عقل الانسان كاعضاء جسدهِ تنمو وتزيد نشاطها بالاستعمال وتضعف وينحط شأنها بالاهمال. فالقوى التي تكون مزاولتنا لها اكثر تُصبح اشدَّ من سواها ومن ثمَّ تعمل الاحلام في النوم كما تعمل الافكار في اليقظة. ألا ترى ان احلام المرء غالبًا يكون مدارها على اميالهِ وهواجسهِ واشغالهِ وعاداتهِ. فالعالم مثلًا يحلم انهُ مشتغل بايضاح مُعضلاتهِ العلميَّة والرياضي بحلّ المسائل الحسابيَّة والهندسيَّة والتلميذ بدروسهِ او أترابهِ والعاشق يرى صورة معشوقهِ وما شاكل ذلك. ولقد كثرت آراء العلماء من متقدمين ومتأخرين في هذا الباب وجُلّ تلك الاراء ان لم نقل كلّها غير ممتنع ولا وافٍ بالمراد لكثرة ما يعترض هذه المسئلة من حُجُب الخفاء. وقُصور القياس عن القطع فيها لغرابتها وشذوذها في كثير من الاحوال. ولا نطيل الكلام بتعداد آرائهم واستقصائها بل نذكر ما ذهب اليهِ كبير الفلاسفة ارسطو قال: « ان الحلم بقاء صور الاشياء التي يشعر بها الدماغ بعد زوال تلك الاشياء وانقطاع ذلك الشعور ». وزاد عليهِ العلاَّمة وُلف انهُ اذا لم يكن اصلهُ من صور المحسوسات فهو وحيٌ من وراء الطبيعة (٢. على ان هذا التعريف كما

١) جاء هناك ما مفادهُ ان الاحلام في الغالب ليست سوى آثار افكار تدور على الخاطر في اليقظة وتنصرف نحوها جلّ اهتمامات الانسان

٢) لا ننكر انَّ سبحانهُ وتعالى يتَّخذ في بعض الاحيان الاحلام كواسطة ليبلّغ بها البشر

لا يخفى لا يكفي باحثاً ولا يشفي غليلاً لغموضهِ وعدم كفاءَتهِ للتعليل في كثير من المواضع . بيد ان العلماء المحدثين قد توصَّلوا بالبحث الدقيق الى كشف الستار عن وجه المسئلة ونحن نُلخّص هنا بعض ما قالوهُ في هذا الشأن

معلوم انَّ العقل هو الجوهر المُدرك في الانسان فهو يدرك نفسهُ وما في الخارج ويميّز نفسهُ من غيرهِ . على ان هذا الادراك انما يتيسَّر لهُ بواسطة المشاعر الخمس وهي: البصر والسمع والشمّ والذوق واللمس . فهذه المشاعر بمثابة نَقَلة لتأثيرات العالم الخارجي اليهِ اي انها اذا تأثرت من شيء مَّا يحيط بها حملت تأثيرهُ الى الدماغ حيث يتمّ الشعور حقيقةً فيدرك العقل ذلك الشيء .

ولبيان ذلك نقول اذا بصرت العين بالنار مثلاً تؤَثّر صورة النار في العصب النظري فيحمل التأثير الى الدماغ فيبلّغهُ الدماغ للعقل فيعلم العقل بوجود النار ويأمر اعصاب الحركة ان تتّقيها . وللعقل قوى متعددة منها ما يتذكر بهِ ما سبق لهُ إدراكهُ وهو الذاكرة ومنها ما يتمثّل بهِ صور الاشياء وهو التصوُّر ومنها ما يتصرَّف بهِ بتلك الصوَر ويبتدع ما لا يوجد منها وهو الخيال الى غير ذلك مَّا لا يتَّسع هنا المجال للإفاضة فيهِ . وهذه القوى تتسلَّط عليها ارادة الانسان فتحصرها في موضوع يفتكر بهِ او امر يبحث عنهُ فان لم تتسلَّط عليها انتقل العقل من موضوع الى آخر لروابط تصل بين تلك المواضيع وجرت افكارهُ كل مجرى بلا ضابط

وقد اشرنا الى انَّ الدماغ والاعصاب آلة العقل ورُسُلهُ الموكول اليها نقل التأثيرات اليهِ . وثابتٌ ان كل عضو يعمل عملاً يهلك من قوَّتهِ شيء يعادل قوَّة العمل ومدَّتهُ فالدماغ والاعصاب كلَّما اشتغلت خسرت شيئاً من قوتها حتى يستولي عليها الاعياء . وتأخذها الحاجة الى الراحة فتنام . والانسان في النوم لا يعود لارادته تسلُّط على الاعضاء التي كانت تحت حكمها فلا يرفع يداً ولا يأتي بحركة عن اختيار منهُ وهوًى . وعلى قوى العقل ايضاً فيرى نفسهُ طوراً على قُنن الهضاب وتارةً على متن العباب وآناً يُعاقر بنت الحان ويلهو بسماع الالحان وآونةً يمتطي ظهور الجياد ويصول في مواقف الجلاد الى غير

ارادتهِ كما ترى في الاسفار الكريمة . على انَّ هذه الواسطة نادرة تعدّ من المعجزات لا يجوز لنا ان نركن اليها ما لم يؤيّدها الله بدلائل واضحة على ذلك (المشرق)

ذلك مما لا مصدر لهُ الّا التخيّلات ولا سبب الّا انطلاق عنان التصوُّرات وتراوُح الذاكرة بين ما حوتهُ من المحفوظات. هذا والنائم يُصدّق بكلّ ما يراهُ بل تتأثَّر لهُ عواطفهُ فيتقلّب بين السعد والشقاء والكدر والصفاء والهمّ والهناء. فضلًا عمّا يحصل لهُ من خداع الحس وما اشبه ذلك مما يضيق المقام عن ذكرهِ

واما قوى العقل حالة نوم المرء فاما ان تكفّ عن العمل وتستريح على رأي قومٍ. وبذلك تغيب عن الراقد معرفة نفسهِ وافعال عقلهِ او انها لا تتوقّف سواء نام الانسان او استيقظ على مذهب قومٍ آخرين. ويرتئي كثيرٌ من المحققين ان هذه القوى لا تنام كلها دفعة واحدة بل انَّ ما لا يتوقف عملهُ على الارادة يبقى مستيقظًا. وعلى كلٍّ فالحلم يحدث من استيقاظ بعض قوى العقل دون الآخر او تنبُّه بعض المشاعر الحسّ تنبهًا جزئيًا لعلة من العلل

ومرجع الاحلام من حيث منشإِها الى سببين: (الاول) جسديّ ونريد بهِ الطوارئ التي تحصل لحالة الجسم سواء كانت ظاهريّة كتنبُّه احدى آلات الحسّ مثلًا او باطنيّة كالمرض والعطش. (والثاني) عقليّ ونعني بهِ الاهتمام الشديد في بعض الامور واجهاد الفكر لمسئلة من المسائل اكثر من سواها في اليقظة. فاما ادلة الحالة الاولى فكما لو ادنيت من جفن نائم مصباحًا فانهُ يحلم ان النار كادت تلتهمهُ فدنوّ المصباح يؤثر بعصب البصر وهذا ينقل التأثير الى العقل وسائر الحواس متوقفة عن العمل فيركّب العقل الحلم كما رأيت. وكما لو وضعت ماء على طرف يد نائم فيحلم انهُ يغرق او قرعت على بابهِ فيحلم بهزيم الرعد او رفعت عنهُ الغطاء فيحلم انهُ يقاسي من البرد اهوالًا وقد تذهب بهِ قوة التصوُّر والخيال الى ما وراء ذلك فيرى نفسهُ مسافرًا يقطع اودية وجبالًا وقد عبثت بهِ عواصف الشتاء واذاقتهُ من تعذيباتها الوانًا واشكالًا. واما الشواهد على الحالة العقليّة فمألوفة عند كل فرد وقد لمّحنا آنفًا اليها. وفي الغالب ان من يشغل افكارهُ طويلًا بامرٍ قبل النوم يحلم بذلك الامر. بل قد رُوي عن كثيرين من اذكياء العقول انهم في النوم كانوا يشتغلون بما تعسّر عليهم حلّهُ في اليقظة من المشاكل فلا يجيء الصباح الّا وهم قابضون زمامها وكاشفون إبهامها. فضلًا عن ان الحالة العقليّة تتصرَّف غالبًا بالاحلام المسببة عن الطوارئ الجسمية وتحوّلها الى ما تدور عليهِ اهواء النائم واطوارهُ

واشغالهُ في اليقظة . مثالهُ اذا كان مسبّب الحلم صوتًا خفيفًا وكان النائم مغنيًا فيحلم بانغام عودهِ وترقيع اناشيدهِ او خطيبًا فبالقاء الخطب في محافل الادب او راعيًا فبثغاء الشاء او جنديًا فبضوضاء الهيجاء وما شاكل ذلك ممّا لا يُستقصى . وبقي في هذا الموضوع اشياء أُخر لا يتفسح لنا المقام للكلام فيها الّا ان اكثر الاحلام اذا تأمّلتها بصادق النظر رأيتها لا تخرج عن حدّ ما ذُكر والله اعلم

رحلة حديثة الى بلاد عكّار

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد انجز الآباء اليسوعيون منذ عهد قريب بناء معبد جميل شادوهُ في قلب بلاد عكّار ذكرًا للبتول الطاهرة التي يكرّمها الاهلون في تلك الانحاء باسم سيّدة القلعة . فدُعي حضرة رئيس مدرستنا الكليّة الاب لوسيان كاتين لحضور تدشين المزار الجديد واسعدنا الحظ على مرافقته لمشاهدة هذه الحفلة البهيجة . فانتهزنا هذه الفرصة لنعرض على قرائنا تفاصيل رحلتنا ونصف لهم شيئًا من احوال هذا القضاء الواقع في احد ألوية ولايتنا الجليلة

كان سفرنا من بيروت بُعيد ظهر الخميس في ٢٦ نيسان المنصرم . وما مرّت علينا ست ساعات حتى ادركنا البترون وبتنا فيها . وفي صباح النهار التالي جلنا في انحاء تلك البلدة التي تُعدّ من اقدم مدن فينيقية وقد جاء ذكرها في القرن الخامس عشر قبل المسيح في الكتابات المكتشفة حديثًا في الفيوم في تلّ العمارنة . وكان لها سابقًا سور منحوت في البحر يصونها من طغيان مياهه لا يزال منهُ بعض بقاياه ماثلة في وجه البحر وكانت البترون حصنًا في سالف الأيام وبهذا الاسم ذكرها ياقوت والادريسي . ومن آثارها الرومانيّة في شرقيها مرسحها التي تُرى منهُ درجاتهُ على شكل نصف دائرة . وكان دليلنا في زيارة البلدة جناب قنصل الدانيمرك في الثغر سابقًا وللجنابهِ الباع الطولى في معرفة العاديّات جمع منها شيئًا كثيرًا وقد وجد فيها بعض النواويس القديمة وهو اليوم

يبحث عن مدفن ايتوبعل احد ملوكها وقيل هو بانيها . وكان ايتوبعل على رأي يوسيفوس كاهناً لعشتاروت معبودة الفينيقيين

ولمّا استوت الشمس في كبد السماء ركبنا الخيل قاصدين طرابلس فسرنا وجهتنا الشرق. وتركنا على شمالنا كَفَّة قرية حديثة لاحقة بالبترون ثم قطعنا بعد ساعة نهر الجوز ومررنا بقرب قلعة حريزة بناها الصليبيّون على قنّة صخر مرتفع تدعى المُسَيْلحة جدرانها تلتحم بالصخر كأنّها هو ولا يُصعد اليها الّا من شمالها بدرج صعب المرتقى . وبقرب هذه القلعة قُتل امير عزير السيفاني محمد بن منصور سنة ١٥٩٠ (راجع المشرق ٣: ٢١٠). ثم توقّلنا في مصاعد جبل عالٍ يمتدّ في اعلاه ويدخل في البحر على شكل رأس وهو الرأس المعروف اليوم برأس الشقعة ودعاهُ الادريسيّ أنف الحجر . وفي جنبه الشمالي دير كبيرٌ للروم الارثوذكس يقال لهُ دير النوريّة نسبةً الى العذراء سيدة النور وهذا الدير حديثٌ بُني سنة ١٨٨٠ بدلًا من دير آخر قديم كان في لحف الجبل . وللموارنة فوق هذا الجبل دير شهير الذكر يدعى دير سيدة حنوش . ثم انحدرنا من مشارف ذلك الجبل فقطعنا الهَرْيَ قرية عامرة للمسلمين فبلغنا بعد ساعة شَكّا . وهي قرية تشرف على البحر كثيرة الخيرات من اقدم بلاد الله كالبترون كما يُستدلّ على ذلك بمراسلات تلّ العمارنة السابق ذكرها

ومررنا قُبَيل العصر بقرية زكرون ليس بعيدًا من أنفة وانفة هذه قرية على سيف البحر اهاليها من الروم الارثذكس من اهل الثروة ابتنوا هناك لهم دورًا جميلة بعد ان تجشّموا الاسفار الى اميركة وربحوا فيها بعض الربح

ثم بلغنا في اصيل النهار ضيعة قلمون واهاليها مسلمون وهي تلحق بحكومة طرابلس مع انّ حكم جبل لبنان يمتدّ الى ما وراءها . وقلمون هذه فيها المياه الجارية والبساتين الزاهية وقد دعاها الجغرافيّ بلينوس قلاموس . وفوقها على رأس الجبل دير البَلَمَند الشهير من اعظم اديرة الروم الارثذكس . قال الدويهي في تاريخ سنة ١٢٨٧ انّ بانيهُ البرنس بويمند (Bohémond) صاحب طرابلس بناهُ كمصيف يروّح فيه النفس وعلى هذا القول يكون اسم البَلَمَند تصحيفًا لاسم بويمند . وفي تاريخ سوريّة لجرجي افندي يني (ص ٣٩٠) انهُ تصحيف « بل منت » اي الجبل الظريف . وذكر أنهُ يوجد على مائدة الهيكل في كنيسته تاريخ سنة ١١١٣ م فضلًا عمّا يُقال انّ في اصل الدير المذكور

كانت بقايا قصر عظيم استمرت آثاره الى عهد قريب من ايامنا. وبازاء هذا الدير على قمة جبل آخر دير مار يعقوب يسكنهُ مطران طرابلس على الروم الاورثذكس وقيل لنا انَّ اعيان الروم في طرابلس يُنقلون بعد وفاتهم الى هذين الديرين فيُقبرون فيهما تبرُّكًا. ولا يبعد عن دير مار يعقوب دير كفتين وقد اشتهرت مدرستهُ مدَّة

وكنَّا في اثناء سيرنا نرى طرابلس وحصنها القديم وابنيتها الجميلة وبساتينها الفيحاء وهي تزيد بهجةً وجمالًا على قدر تقرُّبنا منها وكان منظرها يذكّرنا قول الشاعر فيها يصف خصب تربتها ومقامها الجميل مع ما يحدق بها من الجبال المكلَّلة بالثلوج الغراء:

بأربعة سادت وساد مقامها على سائر الامصار في البحر والبرِّ
بأبيض ثلج واحمرار كثيبها وخضرة مرج قد جلا زرقةَ البحرِ

ولمَّا قربت الشمس الى المغيب وصلنا الى المدينة فنزلنا في دير حضرات الآباء العازاريين الافاضل فرحَّبوا بنا كما يرحّب الاخوة باخوانهم واظهروا لنا من اللطف والأنس ما دونهُ كلُّ شكر

هذا ولطرابلس من الآثار الجليلة والمرافق العديدة ما لا يسعنا هنا وصفهُ فأجَّلنا ذلك الى فرصة أخرى ونكتفي هذه المرَّة بتدوين ما كتب المتنبي وهو القائل انَّ فيها:

أكارمًا حسد الارضَ السماءُ بهم وقصَّرت كلُّ مصرٍ عن طرابُلسِ

*

وفي غلس اليوم التالي قمنا من طرابلس وكان انضمَّ الينا لحضور العيد احد الآباء العازاريين حضرة الاب ارنو مع وكيلنا في البلدة فسرنا على الجياد راكبين جادَّة طريق العربات المؤدية الى حمص. وكان اديم السماء صافيًا والهواء لينًا والارض تكسوها حلل الربيع السندسيَّة على شمالنا يمتدُّ البحر بزرقة ناصعة وهو اصقل من مرآة وعلى يميننا تنطح العنان جبال لبنان المعتمّ بعمامة ثلوجه البيضاء

وكنَّا في سيرنا نواجه اهل تلك البلاد يتقاطرون الى طرابلس من جهات حمص وعكَّار والحصن وصافيتا يبيعون فيها محصولات اراضيهم الخصبة ويستبدلونها بما هم اليهِ في حاجة ماسَّة من انسجة وأفاويه واثاث. وكان يبهجنا منظرهم لما يلوح على وجوههم من سمات الرجوليَّة وشارات القوة واما لبسهم في الغالب فهو لبس اهل البادية كالكفيَّة والعقال والعباءة او المشلح. ولكثيرين السراويل الواسعة النيافق الضيّقة الارجل. وممَّا كان يستلفت انظارنا صرم الجبال المتتالية وكلها محمَّلة بضروب صادرات البلاد قيل لنا

ان ما يدخل منها كلَّ يوم الى طرابلس فوق ٣٠٠٠ جمل ويُدفع عن كل جمل منها فرنك لمترمي طريق العربات .

وما ابتعدنا عن البلد الّا ثلثة اميال حتى بلغنا جامعًا كبيرًا يُعرف بجامع البدَّاوي يرتقي عهده الى السلطان بيبرس . والبدَّاوي احد اولياء المسلمين . وبقرب الجامع بركة واسعة بُنيت منذ سنتين تتبجّس من وسطها مياه غزيرة . وفي المياه الوف من السمك المعروف بالبوري يكرّمهُ الناس ويطعمونهُ ولا يجوز لاحد ان يصطادهُ . فذكّرنا ذلك بما رأيناهُ في اورفا قبل ستّ سنين في رحلتنا الى بلاد ما بين النهرين . وهناك بركة تُنسب الى ابراهيم الخليل اكبر من هذه تتدفّق منها المياه وفيها من هذا السمك عددٌ لا يضمّ به احصاء وهو يتقلّب في المياه منذ مئين من السنين لا يمسّهُ احد . وقد اخبر لوقيان في كتابهِ المُعنون بالهة السوريين (١ انَّ الاقدمين كانوا ابتنوا بركًا في قرب هياكل آلهتهم لاسيما عشتاروت وكان في هذه البرك عدد غفير من السمك يعظّمهُ القوم ويقومون بنفقة طعامهِ

ثمَّ سرنا حثيثًا فقطعنا بعد ساعة نهر البارد وواصلنا السير حتى بلغنا بعد ساعتين ونصف مفرقًا يتصل بطريق حمص . وهو يميل عن البحر نحو الشمال الشرقيّ فعدلنا اليه . ومذ ذاك الحين دخلنا في بلاد عكّار . وتخوم القضاء المذكور محدودةٌ شمالًا بقضاء الحصن وشرقًا وجنوبًا بولاية الشام ومتصرفيّة لبنان وغربًا باواء طرابلس . عدد سكّانهِ يبلغ نحوًا من ٣٠٠٠٠ نسمة يسكنون ١٧٤ قرية او مزرعة . ويدين نصف اهلهِ بالاسلام امَّا النصف الآخر فهم نصارى ونصيريّون .

والطريق التي ننهجها حسنةٌ تصلح للعجلات الى حلبا مركز القضاء اعني في امتداد نحو ١٥ كيلومترًا . وكنّا نعجب بتربة هذه النواحي وخصب مزدرعاتها وزكاء نباتها . والمياه تجري اليها من كل جانب منحدرةً من اعالي لبنان ومتفرّقة في كل صوب . ومن جملة المزروعات التي كانت تستلفت انظارنا الزيتون والذُّرة والسمسم واصناف الحبوب . ومنها ايضًا البصل الطيّب قيل انَّ اهل عكّار ينقلون منهُ الى مصر نحو الفي طنّ (٢ فيربحون منهُ مالًا طائلًا

١) راجع Lucien : *de Dea Syra*, 45 ورحلة الاب هنري لامنس الى بلاد النصيريّة Revue de l'Orient chrétien, IV:572 ٢) مختصر جغرافية الشام للاب هنري لامنس (خطّ)

ومشينا نحو ساعةٍ ونصف فبلغنا نهر عرقا وعبرنا جسره المبني باحسن هندام فوق صخر يدخل في وسط مياه النهر. وعرقا هذه التي بها دُعي النهر عبارةٌ عن قرية صغيرة ليس فيها الّا طاحون وبيوت قليلة وانما كانت في قديم الزمن مدينة معتبرة تُدعى قيصارية عرقا فيها بنايات جليلة. وكانت في ايام الادريسي مدينة عامرة قال فيها: «لعرقا في وسطها حصن على قلعة عالية ولها ربض كبير وهي عامرة بالخلق كثيرة التجارات واهلها مياسير وشربهم من ماء يأتيهم في قناة مجلوبة من نهرها ونهرها جارٍ ملاصق لها وبها بساتين كثيرة وفواكه وقصب سكّر وبها مطاحن على نهرها وبينها وبين البحر ثلاثة اميال وحصنها كبير وعيش اهلها خصيب رغد وبناؤها بالجصّ والتراب والحجر بها كثير». وقد اكتُشف فيها حديثًا بعض الآثار القديمة المنبئة بعظمها سابقًا. وكان لعرقا اسقفٌ يُعرف بها. وهي اليوم من كراسيّ اساقفة الموارنة وكان غبطة البطريرك الحالي اسقفًا عليها سابقًا

ولمّا اجتزنا نهر عرقا واصلنا السير في قرار فسيح من الارض وسهول متسعة تسقيها المياه النميرة وكنّا نشاهد على يميننا من جهة الجنوب روابي عكّار يعلوها قرًى عامرة كل اهلها في سعة وخصب عيش. منها قرية منيارا واهلها نصارى روم ارثوذكس وقد اعتنق منهم قسم كبير الدين الكاثوليكي منذ بضع سنين بهمّة الآباء المرسلين

ثم سرنا نحو خمسة اميال فبلغنا حلبا وفيها مركز القضاء. وحلبا ليست اكبر قرى عكّار وانّما مقامها انسب لتدبير شؤون تلك النواحي وهي طيّبة الهواء. وفوقها دار الاسقفيّة لمطران عكّار على الروم الارثوذكس ويشرف عليها محلٌّ ترةٌ يدعى شيخ طابا يسكنهُ المتوظفون في الحكومة

قلنا انّ حلبا ليست اكبر قرى عكّار والقرى الكبرى انما هي عكّار التي بها دُعي هذا القضاء. عدد سكّانها نحو ٣٥٠٠ وهي شرقي عرقا ثمّ القبيّات وهي اكبر منها (٥٠٠٠) فيها معامل حرير مشتهرة ولحضرات الآباء الكرمليّين فيها ديرٌ ومدرسة ثمّ عندقت (١٦٠٠) واهل القبيّات وعندقت موارنة. ثم بينو (٣٠٠٠) يسكنها اعيان عكّار ثمّ عيدمون ورماح والنهريّة تُصنع فيها الطنافس الملوّنة والسجّادات الفاخرة ثمّ شيخ محمد ليس بعيدًا من حلبا واهلها نصارى روم كاثوليك وارثذكس وموارنة. الى غير ذلك

ولمّا قرب وقت الظهر بلغنا نهر عكّار الذي منشأهُ بقرب عكار شرقًا ويُدعى ايضًا نهر الخربة ونهر الحسوان ومصبّهُ في البحر نحو اربعة اميال شمالي نهر عرقا. فاخذنا

هناك نصيباً من الراحة الى ان خمدت الهجيرة فاستأذننا الركوب واخذنا نصعد رُبى جبل عكّار سائرين نحو الشمال الشرقيّ . وكنّا اذا ترقّينا في مشارف الجبل يكشف النظر على غياض فيحاء ورياض غنّاء ومزارع كثيرة المواشي ورساتيق يسكنها سراة البلد ممّن عهدت اليهم الحكومة السنيّة نظر تلك الضواحي وجباية اموالها . وهم سادة ذوو بأس وطَول نخصّ منهم بالذكر المير ميران محمّد باشا محمّد وهو من اسرة عريقة بالشرف ولكلّ هؤلاء السادة قرى وضياع ينقاد اهاليها لحكمهم ويشتغلون لحسابهم . ولهؤلاء الاماثل الجياد المطهّمة التي يُبالَغ في اثمانها ويُتفاخر باقتنائها . واجناس الخيل الكريمة في عكّار اربعة لكلّها شهرة كبيرة في بلاد الشام وهي السقلاوي والمنقيّ والفُريجات والطويسي واكرمها الفريجات التي تحرز عادةً في الحلبات وهي في الحصن اكثر منها في عكّار

وبينا كنّا نسرّح الانظار في هذه المشاهد اذ لاح لنا على قاب قوسين او ادنى بناء جديد تخفق فوقهُ الرايات ويقربه قد ازدحمت الجموع فبُشّرنا انها هي كنيسة السيدة التي دُعينا الى حضور تدشينها ولم نكُ ندري انَّ بيننا وبينها وادٍ عميق لا بُدَّ من قطعهِ قبل ادراك الوطر . فما لبثنا ان رأينا امامنا جبلًا عاليًا على شبه مثلّث زاويتاهُ المايران في مشارف الجبل امّا الثالثة فهي تتّجه نحو الغرب كأنها الرأس القرن . وفي اعلى هذا الرأس بقايا قامة قديمة اليها نُسبت سيّدة القلعة وعلى جانبي هذا المثلّث المظلم واديان عميقان تترقرق في احدهما مياه « النهر الصغير » المنحدرة من الجبال المجاورة وفي الآخر تتدفق مياه « النهر الكبير » الخرّارة . وتجتمع مياه الواديين عند رأس المثلّث وتجري نحو الغرب فتصبّ في البحر المتوسّط بعد مسافة نحو ١٥ كيلومترًا . امّا رأس النهر الكبير ففي شرقي قرية عكار في وادي عودين وهو يسيل شمالًا نحو سبعة اميال حتى اذا بلغ جبل طاحون مال نحو الغرب وهو لا يزال يكبر ويزيد الى ان يصبّ في البحر . ولهذا النهر شأن عظيم وكان الاقدمون يسمّونهُ الوتاروس (Eleuthérus) وهو الذي يفصل بين جبال لبنان وجبال النصيريّة ويحدّ بلاد عكار شمالًا فيقسم قضاءها عن قضاءَي الحصن وصافيتا وهو غير النهر الكبير الذي يصبّ على خمسة اميال من اللاذقيّة . وفي الشتاء تزخر مياههُ وتطغو وربّما ذهب بالمواشي والنفوس

فنزلنا الى معاطف ذلك الوادي الوعر المنحدر وقطعنا مضايقهُ ثمَّ تسنّمنا ذروتهُ

الحاذية ولا يُصعد اليها الّا بمشقّة في شِعب صعب المرتقى يشرف على بطن الوادي · وقنّة هذا الجبل تبلغ نحو ١٥٠ متر ادركناها بعد ثلث الساعة

وكان جمهور الزوّار الذين وفدوا من القرى المجاورة ينتظرون قدوم حضرة رئيس مدرستنا ليحسنوا استقبالهُ · فلمّا رأوهُ نافذًا من ثنيّة الجبل اسرعوا الى بندقيّاتهم فاطلقوها مترحّبين به وكان يُسمع لطلقاتها ولهتاف المتهلّلين دويٌّ عظيم يتردّد صداهُ في بطون الفجاج · وهرع للسلام عليه حضرة رئيس رسالتنا العامّ مع بعض الاباء · وعدد من الكهنة الافاضل واعيان تلك الانحاء الذين كانوا سبقوا فاجتمعوا للحفلة الموعودة

وكانت الشمس وقتئذٍ قد جنحت الى الغروب وهي ترسل على تلك الهضاب النَّضِرة آخر سهام اشعّتها الناريّة فتكسوها بهاء وجلالًا · وممّا كان يزيد هذا المنظر رونقًا وحسنًا أفواج الوافدين للعيد وهم لابسون افخر ثيابهم · وكانت تلوح على وجوه الجميع لوائح الفرح التي تكنُّها صدورهم لقدوم يوم بهيج لم يكن منذ سنين قليلة ليدور على خلدهم ان سيشاهدون مثلهُ · فتقدّموا كلهم للثم ايدي حضرة الاب الرئيس الذي كان يُسمعهم ارقّ عبارات اللطف والايناس مثنيًا على تقواهم وخلوص مودّتهم

ثم دخلنا المعبد الجديد لنزورهُ فاذا به تحفة نفيسة شادها الحبّ البنوي لمليكة السماء · وتعبّر عن شكر الاهلين لمن كانت لهم مدّة قرون متوالية عضدًا في بلاياهم وشفاء في اوجاعهم وتعزيةً في احزانهم · وتكسير هذه الكنيسة الجديدة ٢١ مترًا طولًا في ثمانية عرضًا وارضها مفروشة بالرخام تمثّل اشكالًا هندسيّة وجدرانها منمّقة بنقوش جميلة وتصاوير محكمة الاتقان امّا نوافذها فهي من الزجاج الملوّن تُرى فيه صور اسرار حياة البتول العذراء

وبعد برهة من الراحة وتناول أكل المساء دعا الوفود من الاهلين حضرات الاباء والكهنة فتمثّلوا اجلالًا لهم شيئًا من عادات بلاد عكّار كألعاب السيف والترس والرقص والترمير وكانوا يظهرون في كلّ ذلك حذاقة غريبة فسُرَّ الحضور غاية السرور وشكروهم للطفهم

وكان الليل في اثناء ذلك أرخى رواقهُ فأُوقدت مشاعل الافراح ودوى البارود وأُرسلت الاسهم الناريّة تخترق كبد السماء وتتناثر منها النجوم الملوّنة في الهواء فخيّل انّ الجبل صار شعلة نار ودام ذلك هدءًا من الليل · ثم فُتحت ابواب الكنيسة ليبيت

فيها النساء والصغار. امَّا الرجال فانهم قضوا لياتهم على تلك الربوة ينتظرون بفروغ الصبر صباح العيد. وكان عدد الجمهور الوافد مساء العيد اكثر من ١٦٠٠ نسمة قدموا من قرى عكَّار وصافيتا والحصن يتقدَّمهم كهنتهم وشيوخهم ووجوه انحائهم

*

وما ابلج صباح الاحد الواقع في ٢٩ نيسان وهو موعد العيد حتى خفَّت سكَّان القرى أفواجًا أفواجًا فكان من ينظر الى توارُدهم يظنُّ انَّ القرى صفرت كلها من اهلها. وقد اتى البعض من مسافة ثلاث ساعات وازيد وكانوا جميعهم يأْتون وهم ينشدون الاناشيد ويتلون صلاة الورديَّة ويحملون الرايات يتقدَّمهم رُعاة كنائسهم وكانوا اذ بلغوا باب الكنيسة يستقبلهم كاهن بالمبخرة والماء المصلاة

وعند الساعة السابعة لبس حضرة الاب رئيس الرسالة غفَّارة وبمعيَّته الاباء والكهنة من طائفتي الموارنة والروم الكاثوليك وكان السيدان الجليلان المطران اسطفان عوَّاد والمطران يوسف الدوماني قد اوفدا من قبلهما كهنةً ليمثلاهما في هذه الحفلة وكانا دُعيا اليها فلم تسمح لهما الاشغال بتلبية دعاء الرؤساء. ثمَّ بُدئ بالرُّتب الكنسيَّة لتدشين المعبد وتليت الصلوات مع الاناشيد المعتادة في مثل هذه الحفلات. ولمَّا انتهت هذه الطقوس زُيّنت الكنيسة باشكال الزهور باسرع من لمحة العين وأُضيئت مئات الشموع ونُشرت الرايات وفُتحت للجمهور ابواب الكنيسة وكانت من قبل مقفلة فاندفع اليها القوم وغصَّت بهم فبقي مئون بل أُلوف منهم في الخارج يشاهدون الرتب من ابوابها المنفتحة. وكان امام الهيكل لفيف الاكليروس ومشائخ القرى منتصبين ولله قانتين

ثم ابتدأ حضرة رئيس مدرستنا الكليَّة باقامة قداس كبير. وزاد الحفلة رونقًا انَّ حضرة الاب استنسلاوس الكرملي كان حضر من القبيات بجوق من تلامذته وأتى بارغن حُمِل على ظهر جمل فشنَّفوا الآذان باصواتهم الشجيَّة واطربوا السامعين باناشيدهم الرخيمة

وعند ختام القداس تقدَّم شيوخ القرى ماسكين بايديهم الشموع المضيئة وتلوا فعل التكريس جهارًا فقدَّموا نفوسهم وجميع الذين تحت امرتهم للسيدة البتول المكرَّمة في هذا المكان منذ اجيال عديدة طالبين منها حمايتها في الحياة وفي الممات. وكان لهذا فعل التعبد احسن وقع في النفوس واشتركت به الجموع بتقوى وخشوع. وعقب ذلك

قداسان احتفاليان اقامهما ثانيا مطراني طرابلس في الطقس الماروني والطقس اليوناني حضرهما كلُّ من امكنهُ ان يلج الكنيسة

ثمَّ مثَّل فرسان عكَّار لحضرات الآباء لعب الجريد كانوا يتفنَّنون فيهِ على ضروب عجيبة كانهم في ساحة القتال. وكان في جملة الجموع الذين حضروا هذه الحفلات عدد وافر من النصيريين والمسلمين وكانوا قد اعتادوا منذ قديم الزمان ان يأتوا الى هذا المقام لاكرام «ستنا مريم»

ثمَّ لمَّا كان الظهر جلس المدعوون على مائدةٍ فاخرة تبودلت فيها الانخاب فاعرب الاهلون عن تعلُّقهم بالكرسي الرسولي ومرسليهِ الافاضل وابدى رئيس الرسالة املهُ بان يكون المعبد الجديد كعروة وثقى ترتبط فيها كلَّ القلوب المسيحية تحت حماية البتول الطاهرة

وعقيب هذا اجتمع الجمع ثانيةً في الكنيسة فأُلقيت على مسامعهِ عظةٌ بناها الخطيب على قول النبي اشعيا (٣٥: ٢). «قد أُوتيتِ مجد لبنان» فبيَّن بشواهد عديدة تاريخيَّة انَّ لبنان كما يدلُّ عليهِ اسمهُ كان في كلِّ زمن جبل المناعة والقوَّة ثمَّ جبل الايمان والدين ثمَّ جبل الطهر والعفاف. ثمَّ تخلَّص الى ذكر العذراء الطاهرة فاثبت انها أُوتيتْ مجد لبنان فنالت اوفر حظٍّ من خصالهِ الثلاث المذكورة وانتهى الى ذكر المعبد الجديد الذي اختارتهُ البتول لتتكرَّم فيهِ على عبادها بهذه النعم الثلاث التي نالتها من الرب اعني القوَّة ضدَّ اعداء خلاصهم وايمانًا حيًّا لردّ ترغات الكفر وسيرةً طاهرة تؤهلهم بالثواب الابدي. وخُتمت هذه الرتبة بمنح بركة القربان الأَقدس

ثمَّ عُقدت بُعيد ذلك جلسة ادبيَّة بالفرنسيَّة والعربية قام بها نخبةٌ من تلامذة المدرسة التي هنالك وكان مدارها على مناقب سيدة القلعة وتاريخ تعبد الاهلين لها منذ عهد عهيد في هذا المكان. وهذا التأريخ نوجّهُ لعدد آخر لما في تفاصيلهِ من الفوائد وسنذكر ايضًا ما يختصّ بالقلعة القديمة التي كانت فوق هذا الجبل والتي لا تزال آثارها مائلةً الى عهدنا

ولمَّا انتهى هذا العيد المجيد قمنا في صباح يوم الاثنين وقرأنا الوداع على اهل السيدة وعدنا الى بيروت بغاية ما امكن من السرعة فبلغناها في مساء الثلثاء. شاكرين لهُ تعالى على ما ارانا من تقى اهل عكار وحسن اخلاقهم وخواص بلادهم

دمار پومپايي

من رسالات المأسوف عليهِ يوسف حبيب باخوس الغزيري

نظر فيها الاديب نجيب افندي باخوس

عثرت على هذه الرسالة التي كتبها رحمهُ الله سنة ١٨٧٩ يوم زار آثار مدينة Pompéi او Pompéia . واطلالها الدارسة بمناسبة عيد تمام الالف والثمانماية سنة لدمارها فاحببت بسطها لحضرة قراء المشرق الكرام لفائدتها التاريخيَّة

في هذه الايام كان القوم هنا مشغولين بافراح عيد احتفالي لهجت بذكرهِ معظم الجرائد والصحف وكان الكلام عنهُ مؤونة للاجتماعات والمراسح والقهاوي واينما سرنا او تحوَّلنا كنَّا نسمع صدى اخبارهِ يرويها الشيخ والشاب والمجوز والفتاة فهل يمكنكم ان تخمّنوا او تعرفوا موضوع هذا العيد وتذكاره ؟ هو عيد لتذكار خراب مدينة پومپايي الشهيرة التي غرقت بنيران الثيزوف (Vésuve) وقد مضى على ذلك الف وثمانمائة سنة تماماً . فهل سمعتم قط او خطر على قلب بشر ان يقوم الناس بافراح عيد خراب المدن وان يحتفل بالهرج والمرج ذلك اليوم الذي قتل بهِ الوف من الناس وغارت في قلب الارض مدينة عظيمة لم ينجُ منها مُخبر ؟ . . . فالحكومة تصرف مبالغ باهظة من الاموال في هذا الشأن وتدعي معتمدي الدول الاجنبيَّة لكي يسمعوا اصوات الموسيقى ونغماتها تصدح فوق خرائب مدينة حزينة اولى بها الندب بمراثٍ تفتّت الأكباد فلله امرنا والاعتصام بالصبر

وقد استغنمت هذه الفرصة وتوجَّهت لاشاهد آثار هذه المدينة وربوعها الدارسة فاذهلني ازدحام الناس واختلاف اجناسهم وكلهم يأتون طرباً . فهنا البعض يرقصون وهناك يعزفون بآلات الطرب وفي هذه الجهة بعض الخطباء يترنَّمون بما اعدّوهُ من العبارات الطنَّانة وفي تلك العلماء يتباحثون ويشيرون الى بعض هذه الآثار وفي الوسط كثير من الاشراف ووكلاء الدول . فرنساويون يشربون نخب ايطالية وايطاليان على نخب فرنسة . واعجب من كل ذلك بهرجة السيدات وغنى ملابسهنَّ يخطرنَ في حلاهنَّ بدلاً من ان يندبنَ اسلافهنَّ

فآثار هذه المدينة معجبة جدًّا وتروق للناظر لان اكثرها محفوظ كما كان وهي تشبه بنايات بيروت العاديَّة وبيوتها على طرزها الحالي فترى غرفة للاستقبال من جهة

(صالون) وغرفة من اخرى ودارًا مستوفة في الوسط . قد بنى هذه المدينة شعب الاتروسك (Etrusques) نحو تسعمائة سنة قبل المسيح وقد حسَّنت بناءها نحلة يونانيَّة. فسنة ٥٣ للمسيح حدث بها زلزلة قويَّة خربت جانبًا منها ويوجد الى الان في بعض نواحيها المرادّ والآلات المعدَّة لبناء خرابها . وقد اعترت كثيرًا هذه المدينة بسطوتها وغناها وشهرة العابها . وسنة ٧٩ م في اوائل شهر تشرين الاول فاض عليها بركان الفيزوف فابتلعها وغرقت تحت رماده ومواده الزفتيَّة وهاج عليها البحر من جهة اخرى فغطاها برماله الكثيفة . وكان حينئذ بلينيوس الشاب (Pline le Jeune) ابن اخي بلينيوس الشهير (Pline l'Ancien) واقفًا عن بعد ينظر هياج الجبل وغرق المدينة فكتب على شرح هذه الواقعة الهائلة تحارير ورسائل تفتت الاكباد وعدَّد ذلك اليوم الهائل باقوال تشيب الفتيان وكان عمهُ الفيلسوف وسط بومبايي فهلك مع من هلك ومن ذاك الحين لم يَعد يُسمع ذكر ولا خبر لهذه المدينة وضاع من فكر البشر موضعها وتاريخها

وفي سنة ١٧٥٠ م كشفت سكّةُ احد الفلاحين بعض معابرها فتنبهت افكار الحكومة لذلك وباشرت كشفها . وقد بان منها الى الان جانب عظيم ويقدّرون ان الشغل بها يكمل بعد اربعين سنة . وقد اغنت آثارها متحف نابولي . واعجب ما رأيت هناك صورة تمثل حرب ستة اشخاص من رخام بكبر طبيعي يتبارزون بالاسلحة المختلفة ومنظرهم وموقفهم تدهش العقول . ويقتضي مجلدات عديدة لتعداد النقوش والتماثيل التي وجدت مضطجعة من اجيال في وسط هذه المدينة المنسيَّة

وفي بيوتها اكثر الادوات باقية على ما كانت عليها فترى المؤونة والاكسية والفروشات كلّ في موضعهِ وجميع ذلك داثر . وفي بعض البيوت قدر موضوعة فوق النار وفي بعضها عائلة جالسة على مائدة الطعام وهنا رجل على كرسي يقرأ كتابًا وهناك كاتب يتمشَّى امام طاولتهِ وفي هذا المنزل صبية تشتغل في نولها وفي ذاك اخرى يسامرها شاب لعلَّهُ خطيبها . وعلى مجاري المياه أقوام يلهون ويطربون ونساء ذهبن ليستقين فداهم الموت جميعهم . وترى الاسواق والشوارع على ما كانت عليهِ فاختنق ساكنوها وعابروها وهم يبيعون ويشترون وتشاهد كثيرًا من القتلى كانهم مستعدُّون للهرب ولكن الى اين يهربون ؟ وحينما ابتلعها الفيزوف كان معظم اهليها في محضر اللعب (تياترو) بين رقص

وطرب وسرور وارتياح . ويقدّرون انّ هذا الملعب يسع نحو ٥٠ الفًا من النـاس فلذلك ترى العظام البالية حولهُ رُكامًا .

امّا اصنام هذه المدينة وتماثيلها ونقوشها فهي مدهشة للغاية . وقد ظهر فيهـا الى الان ستة ملاعب (تياترات) فسيحة الارجاء متسعة الجوانب وأبراج هائلة وهياكل رحبة للغاية . وقد استلفتت انظاري كثرة النقوش القبيحة في محـلات متعدّدة ممّا يدلّ على انها كانت مواخر الفجور والفساد . فربّما قاصَّ المولى هذه المدينة لفجور اهلهـا المفرط . وكلُّ ما فيها يدلّ على غنى المال والصناعة . وشاهدت في بعض منازلها البالية نوافذ من بلّور لكنّها صغيرةٌ على شكل النوافذ القـديمة في سوريَّة . وطبقات البناء قليلة عندهم

ومجمل القول انّ بقايا هـذه المدينة وآثارها تدهش المسافر وتوطد بفكرهِ عظمة الاجيال الغابرة . وكثير من الكتبة والمؤلفين قد أفاضوا في الكلام عنهـا ودوّنوا اخبارها في مجلدات ضخمة فلا يمكن الإخبـار عنها والارتواء من اقاصيصها بوجيز الكلام فنكتفي بهذا القدر

الزلازل

بقلم الاديب عبد الله افندي رزق الله شارتّ احد مأموري مية ولاية بيروت الجليلة

زارت الزلازل بلادنا غير مرّةٍ فانزلت بها الويل والبلاء . ودهمت من عهد قريب ولاية آيدين فوسّدت كثيرًا من سكّانهـا التراب وأحلّتهم السماء . وقد تناقلت الصحُف السيّارة آنئـذٍ حوادثها الدهياء . فاعلمتنا بما تركت بعد اجتيازها من آثار الخراب والشقاء . الّا انها اكتفت بنقل اخبارها ووصف ويلاتها ومضارّها

نعم نشر حضرة العالم الفاضل الاب هنري لامنس في مجلة المشرق (١ : ٣٠٣ و ٣٣٨ و ٢ : ٩٧٠) مقالتـين نفيستين على زلازل سوريَّة وبيروت فجمع فيهما واوعى . لكنّ حضرتهُ ايضًا اقتصر على بيان تاريخها ووجهة سيرها في بلادنا . فاحببت الان ان ابحث عن هذه الآفة من حيث العلم وما توصّل اليهِ من معرفة امرها مشاهير علماء طبقات الارض (الجيولوجيون) وبالله المستعان

تأثيرها المعنوي

لا جرم انَّ الزلازل ادهش الحادثات الطبيعية واشدّها وقعاً في النفوس. قال هومبولد: « انَّ الزلازل يُلقي اليأس في قلب الانسان »

كيف لا واكثر اعتماد الانسان هو على الارض والدتهِ الطبيعيَّة التي تُطعمهُ وتسقيهِ وتكسيهِ وتدرُّ لهُ الخيرات بانواعها. وعلى سطحها يسرح ويمرح. وفي جوفها يودع كلَّ عزيز من ولدٍ وابوين ونسيبٍ وحبيب واليها في آخر الامر يعود. فهي في الغالب مبدأ احلامهِ وغاية آمالهِ

ألا ترى راكب البحار يتطلَّع عند اشتداد الانواء الى الارض بشوقٍ عظيم. فاقلَّ شارةٍ تُنبئ بقربها من السفينة تُنعش فؤادهُ وتحيي ميت رجائهِ حتى اذا رآها عن بعدٍ هتف « الارضَ الارضَ » كما فعل رجال كولمبوس في البرّ الجديد. وعليهِ ما قولك في خوف اولئك البحَّارين ويأسهم لو رأوا الارض تميد تحت أقدامهم حين وطئوها بعد ان قاسوا اشدَّ المشاقّ وشاهدوا الموت اشكالاً وألواناً ؟ وليس هذا الحال مقصوراً على الانسان بل الحيوانات ايضاً تُدعر ابَّان الزلازل وتُظهر دلائل الخوف والاضطراب

كثرة حدوثها

انَّ الارض التي نطأها بعيدة من ان تكون مثال المكانة وانموذج السكون. لا اريد بذلك حركتها اليوميَّة والسنويَّة بل اهتزاز طبقاتها على ما يعلم الجميع بقوَّة متفاوتة ووجهة متباينة يُدعى مجموع اهتزازاتها زلزالاً او حركة ارض وواحدتها هزة او رجفة

والهزَّات المذكورة تكون تارةً شديدة الوطأة وبيلة العاقبة وطوراً خفيفةً سليمة المغبَّة لا يُشعر بها الَّا بواسطة آلات دقيقة حتى انَّ البعض شبهها بقشعريرة الجسم البشري

على انَّ وقوع الزلازل في الارض اكثر ممَّا يُظنُّ بادئ بدءٍ. فقد عدَّ احد المدقّقين ٤٦٢٠ زلزالاً حدث في الكرة الارضيَّة بين سنة ١٨٥٠ و١٨٥٧. ويدَّعي الجيولوجيون ان ليس في الارض نقطة لا تتحرَّك وانَّ الزلازل متواصل الحدوث فيها. قال هومبولد الجيولوجي الشهير: « لو أُحصي عدد الزلازل بدقة وضبط لاتضح انها تحدث كلَّ آنٍ في الارض »

علاماتها في اليابسة

انَّ هذه العلامات قسمان: فوق الارض وتحتها. فالاولى ما نراهُ من تبعثر المفروشات

والاثاث في بيوتنا وانهــدام الابنية والجدران وتقطُّع الجبال وظهور الشقوق والحفر في الارض وانطباقها على بعضها وارتفــاع الارض وانحطاطها وغيض الينابيع في محالّ وفيضها في أُخرى

قال الطبري في وصف زلزلة سنة ٨٥٩ (٢٤٥هـ): «كانت في هذه السنة بانطاكية زلزلة ورجفة في شوّال قتلت خلقًا كثيرًا وسقطت منها الف وخمسمائة دار ...وتقطّع الجبل الأقرع وسقط في البحر فهاج...وارتفع منهُ دخان مظلم منتن وغار منها نهر على فرسخ لا يُدرى اين ذهب...»

والثانيــة ما يُسمع تحت الارض من دويّ شديد كهزيم الرعد او كجعجعة قطار حديدي ينهب الارض وما يُشاهد من الابخرة والغــازات واللهيب والبرق وغيرها من العلائم الكهربائيّة والاحداث الغريبة

وصف كمال الدين المعروف بابن العديم الزلزلة التي حدثت في البــلاد الشاميّة والجزيرة في تشرين سنة ١١٣٨ (٥٣٣ هـ) قال: «وفي يوم الخميس ثالث عشر صفر حدثت زلزلة شديدة ثمَّ اتبعتها اخرى وتواصلت الزلازل فهرب الناس من حلب الى ظاهر البلد وخرجت الاحجــار من الحيطان الى الطريق وسمع الناس دويًّا عظيمًا وانقلبت مدينة الأثارب...» — وفي زلزال الاستانة الاخير سنة ١٨٩٣ وضعتُ اذني على الارض فسمعتُ دويًّا مدهشًا

وقد يُسمع دويّ تحت الارض ولا يحدث زلزال كما سُمع ذلك في اميركا اشهرًا والارض لم تهتزّ. وعليهِ لا يُجزم بوجوب وقوع الزلزال كلما سُمع دويّ تحت الارض لانَّ هنالك مغاور تجري فيها الغازات بشدَّة فيُسمع لجريانها ذلك الدويّ

وقد يُرى ايضًا لهيب صاعد من شقوق الارض فيحكم البعض بقرب حدوث زلزال او انفجار بركان ولا شيء. من ذلك بل هو نتيجة احتكاك بعض المادن كالهيدروجين والكبريت. وانما ينفجر البركان في الاراضي البركانيّة الاصل فقط. واماَّ غيرها التي لم تحدث فيها براكين في البدء حينما كانت قشرتها رقيقةً فلا ينفجر فيها بركان بعد ان غلظت القشرة المذكورة وزادت صلابةً

علاماتها في البحر

واماَّ علاماتها في البحر فهي على ما في البرّ. يشعر راكب السفينة انَّ مطيَّتهُ البحريَّة

صدمت الارض او ضربت القعر. ففي زلزال اشبونة الشهير سنة ١٧٥٥ ارتجت السفائن الموجودة في عرض البحر ارتجاجاً عظيماً حتى ظنَّ ربَّانوها انهم ضربوا صخراً ما او صدموا القعر فسبروا المياه وما كان اشدَّ اندهاشهم لمَّا وجدوها كثيرة العمق. وكانت الصدمة في بعض السفن شديدة حتى ان كثيرين من البحَّارين فقدوا الموازنة فسقطوا واختلَّت الابرة المغنطيسيَّة

والمياه تكون على الغالب هادئة قليلة الاهتزاز وقد تهيج وتتلاطم وترْبد وتندفع تيَّاراً عظيماً الى المحالّ البعيدة. فقد شوهد في القرن الماضي موجة ضخمة جرت من البحر الاسود فالبسفور فمرمرا الى البحر المتوسّط. وفي زلزال اشبونة المذكور احاط البلدة تيَّار جسيم شوهد تأثيرهُ حتى في بحار الهند. وعليهِ فالامواج الضخمة التي تشاهد احياناً في البحار اوقات الصحو هي امواج الزلازل الشديدة الخطر على السفائن

قال عبد اللطيف البغدادي في زلزال سنة ١٢٠٢ (٥٨٩ هـ): «وسمعنا انَّ الزلزلة وصلت الى اخلاط ونحوها والى جزيرة قبرس وان البحر ارتطم وتموَّج وتشوَّهت مناظرهُ فانفرق في مواضع وصارت فرقهُ كالاطواد وعادت المراكب على الارض وقذف سمكاً كثيراً على ساحلهِ»

وقد يهيج البحر وتأخذهُ سورة الغضب فيتعدى الحدود التي رسمتها لهُ يد الطبيعة فيخرج من غورهِ ويهجم على اليابسة. وقد ينعكس الامر فيغادر مهدهُ ويرجع القهقرى. وتتوالى في الغالب هاتان الحادثتان فتنسحب المياه الى الوراء ثم تعود وربَّما تتجاوز في عودتها الساحلَ وتغمر الاراضي المجاورة كأنَّ بحار ماء اذا هُزَّ يتجمَّع الماء في وسطهِ ثمَّ يهجم على جوانبهِ ويتدفق منهُ. فقد اخبر استرابون الجغرافيُّ الروميُّ في اثناء ما ذكرهُ عن المعركة التي جرت في سنة ١٤٣ قبل المسيح بين اهل عكّة والقائد سرپيدون «انهُ لمَّا انتهى الامر وركن جنود سرپيدون الى الفرار جاشت مياه البحر بين عكّة وصور وتصاعدت المياه كما يحدث عند المدّ وأغرقت من فرَّ هارباً. ولمَّا جزر البحر وُجدت جثثهم على سيف البحر مختلطةً بالاسماك الميتة»

وذكر حضرة الاب هنري لامنس في المشرق (٢: ٩٧٢) الزلزلة الهائلة التي دهمت فينيقية سنة ٥٥١ قال: «وقد اهتزَّ آنئذٍ كلُّ الساحل من جزيرة ارواد حتى صور اهتزازاً شديداً امَّا بيروت فكان لها في هذا المصاب السهم الاوفر. قيل انَّ البحر فيما ارتدَّ الى

الوراء نحو مسافة ميل ثمَّ عاد بصدمة هائلة وغرَّق سفناً عديدة والوفاً من الناس »

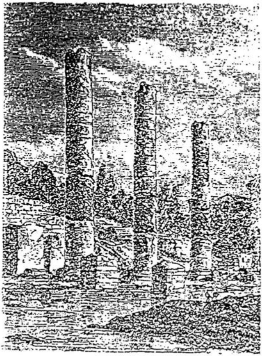
وفي زلزال اشبونة سنة ١٧٥٥ ارتدَّ البحر الى الوراء ثمَّ كرَّ على اليابسة وقد ارتفع ١٥ متراً عن سويته فصدمها صدمةً هائلة. وهجمت موجة على سواحل اسبانية فكنستها وقد بلغ علوّها في قادس ١٨ متراً وغمرت مدينة فونشال في جزيرة ماديرة وغارت على ساحل افريقية ١٨ مرة متوالية وهدمت مراكش وفاس ومكناسة وطنجة وامتدَّت الى كِنسال في ايرلاندة حيث غمرت الارصفة. وفي الوقت ذاته ظهرت حركة خارقة في مياه بريطانية الداخليَّة فارتفعت بلا سبب ظاهري مياه بحيرة لومون في ايكوسا ٧٢ سنتيمتراً

وفي ٢٨ تشرين اول سنة ١٧٤٦ ابتعد الاوقيانوس عن الشاطئ في زلزال بيرو مرتين ثم عاد بشدّة عظيمة فدوَّخ كلَّ الساحل وتوغَّل في قلب البلاد فلم يُبقِ ولم يذر وكان حينئذٍ في مرفإ كالاو Callao ٢٣ سفينة فغرق منها ١٩ وحملت الامواج الاربعَ الأُخر الى مسافة شاسعة في البرّ وتركتها على شاهقٍ من سطح البحر. وفي شهر آب من سنة ١٨٦٨ تجاوزت البرَّ ايضاً هنالك موجة كبيرة فاهلكت ثلاثين الف نفس. واتذكَّر اني قرأتُ في بعض الجرائد منذ بضع سنين حادثةً مؤلمة كهذه جرت في سواحل اليابان

وقد يُرى هذا المدّ والجزر في السواحل البعيدة عن مركز الزلزلة. ففي زلزال اشبونة المارّ الذكر وقفت السفائن في ايرلاندة على الارض وهاج البحر وتلاطمت امواجهُ في سواحل اسوج واميركة وافريقية

والحادثتان المذكورتان اي ارتداد المياه الى الوراء وهجومها على البرّ لم ينتجا من تبدُّل في سطح البحر فانَّ سويَّتهُ ثابتة ولم يطرأ عليها تغيُّر يذكر منذ الازمنة التاريخية بل هي الارض في حركاتها العموديَّة تنخفض تارةً تحت المياه وترتفع عنها أُخرى وتحقيق الامر سهل تُشاهد آثارهُ عقيب زلزلة من هذا القبيل. ترى هنا ارصفةً وسواحل غطّتها المياه ومرافئَ انحطَّت ممَّا يدلُّ على انخفاض سطح الارض وهناك صخورٌ بانت من تحت المياه وسبل بحريَّة تعذَّر سلوكها الآن على السفائن ومرافئَ ذات خطر بعد ان كانت امينةً الى غير ذلك من الاحوال التي تدلُّ على ارتفاع سطح الارض

وقد تحدث هاتان الحركتان المتباينتان في محلّ واحد يُستشهد على وقوعهما بحوادث



تأثير الزلزلة في هيكل سيرابيس

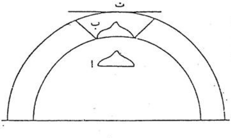
كثيرة منها هيكل سرابيس المشهور فانَّ لهذه البناية القديمة ثلاثة اعمدة لم تزل منتصبةً حتى يومنا هذا وهي منحوتة من حجر رخام واحد وعلوّ كلّ منها تقريباً ١٣ متراً. فاذا نظرت اليها تراها من قاعدتها الى ارتفاع ٣ امتار و ٦٠ سنتيمتراً سالمةً ومن هذا الحد الى علو مترين و٧٥ سنتيمتراً نخرة كثيرة النخاريب واماً القسم الفوقاني فسالم ايضاً كما ترى في رسم الهيكل المذكور

فاذا فتَّشنا عن سبب هذا الامر رأيناهُ فيما طرأ على سطح الارض هنالك من انخفاض وارتفاع وبيان ذلك انَّ الهيكل بُني اساسهُ بمأمن عن المياه اذ لا يخطر ببال احد بناؤهُ على البحر. فحدثت زلزلةٌ شديدة انخسف الشاطئ من جرَّائها مقدار سبعة امتار فغمرتهُ المياه وبقي كذلك زمناً طويلاً معرَّضاً لحيوانات البحر فانثلم قسمهُ الوسطي. واماً قاعدتهُ الى علوّ ثلاثة امتار و ٦٠ سنتيمتراً فحفظها من الحيوانات المذكورة الردمُ الذي تراكم حولها لكنَّ القسم الاعلى بقي فوق الماء فلم يصبهُ اذى

ثمَّ وقعت زلزلة مباينة للاولى فارتفع معها الهيكل وعاد على وجه التقريب الى مقامهِ الاول

تقسيمها

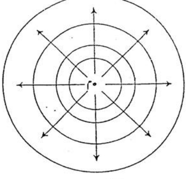
تقسم الزلازل بالنظر الى اسبابها الى قسمين: بركانيّة وغير بركانيّة. فالبركانيّة ما حدثت بجانب البراكين الهائجة او الساكنة. وعليهِ فلا يُدعى زلزال بيروت مثلًا بركانيًا كما لو حدث بقرب جبلي فيزوف واتنا او في فلسطين على ما سيأتي ذكرهُ. والغير بركانيّة ايضًا قسمان: منها ما حدث بانهدام قطعة ارض ما فدُعيت لذلك انهداميّة. ومنها ما نتجت عن اهتزاز الطبقات الارضية فدُعيت زلزلة بنائيّة. ودونك مثالًا يُظهر كيفيّة حدوث الاولى:



الشكل د

لنفرض ان الشكل د رسم قوس في اعلاهُ حجر ب فاذا سقط من هذا الحجر بغتةً قسم ا اهتزَّ القوس وشعر القائم في مكان ت بالرجفة. واذا سقط الحجر ب كلهُ سقط ايضًا معهُ ما فوقهُ

على انَّ في باطن الارض مغاور كثيرة فاذا سقط فيها قسم من الارض التي فوقها تهتزّ وتتزلزل بالنسبة الى كبر القطعة الساقطة وصغرها واذا سقطت القطعة بكاملها يقولون انخسفت الارض كما جرى ذلك منذ عشر سنوات في جهات ارضروم حيث انحطّت الارض ١٥ مترًا



الشكل ج

ذكر عبد اللطيف البغدادي نسخة كتاب ورد من دمشق جاء فيهِ بعض تفاصيل زلزلة سنة ١٢٠٢ (٥٩٨هـ) قال الكاتب: «... واما بيت جنّ فلم يبقَ منهُ ولا اساس الجدران الّا وقد اتى عليهِ الخسف. وكذلك اكثر بلاد حوران غارت ولم يعرف

لبلدٍ منها موضع يقال فيهِ: هذه القرية الفلانية. ويقال انَّ عكة سقط اكثرها وصور ثلثها وعرقة خُسف بها وكذلك صافيتا ...»

قال المؤرّخ تاوفان في حوادث سنة ٥٤٣ التي وقعت فيها زلزلة هائلة: «انَّ رأس شكّة الذي موقعهُ بين البترون وطرابلس زُجَّ في البحر وصار في مكانهِ خورٌ واسع ولم تعد الطريق المارَّة في شمالي هذا الرأس مسلوكةً وصار الساحل على هيئة صخور منتصبة عموديًّا تعلو سطح البحر»

امَّا الزلزلة البنائيَّة فهي ما نتجت عن اختلال موازنة الطبقات الارضيَّة وهي كثيرة الحدوث الَّا انها قليلة الوسعة قريبة المركز من سطح الارض تمثّل صورة وقوعها بالشكل ج (ص ٤٦٩)

اولًا ليكن معلومًا انَّ في باطن الاراضي المتزلزلة محلًّا قليل المساحة تشتدّ فيهِ الهزّات ويُدعى مركز الزلزال ومنهُ تنتشر الاهتزازات وتتشعَّب كما في هذا الشكل. فلو كان مركز الزلزال والحالة هذه في مركز الكرة الارضيَّة لَشُعر بهزَّاتهِ في كلّ نقاط الارض. فيتبيَّن من ثمَّ انَّ نقطة الحركة كلما كانت قريبة من مركز الارض تكون تأثيراتها الجيولوجيَّة بالنسبة اقوى وهزَّاتها اشدّ. ولكنَّها تضعف كلَّما ابتعد مركزها عن مركز الارض

واذا وُضعت علامات على النقاط الاكثر تزلزلًا ورُبطت بخطّ موهوم تُدعى حينئذٍ الاراضي الموجودة داخل هذا الخط «سطح مركز الزلزال» ويكون هذا السطح غالبًا على شكل القطع الناقص

وقد لا يُشعر في بعض نقاط السطح المذكور بشيءٍ من الاهتزازات فتُدعى: «النقاط الصُمّ».

انواعها

للزلازل انواع تمتاز عن بعضها بتباين وجهتها. اشهرها اربعة: العموديَّة او الرأسيَّة والافقيَّة والموجيَّة والمستديرة

فالعموديَّة او الرأسيَّة ما اهتزَّت فيها الارض من تحت الى فوق فترتفع ثمَّ تنحطّ فيُخال انَّ القوَّات الداخليَّة تندفع الى الخارج بصدمة هائلة كمدن يلتهب في بطن الارض فيشقّ سطحها ويتطاير شررًا. فقد انقذفت صُمدًا بيوت برمَّتها سنة ١٧٨٣ في زلزال قلبريَّة من اعمال جنوبي غربي ايطالية. وسقطت هنالك بعض قمم الجبال

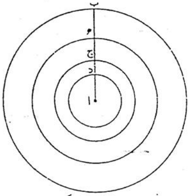
وتغيّر سطح الارض تغيّرًا مهماً وخربت ٣٠٠ مدنة او قرية وهلك اربعون الف نفس والاقيّة ما كانت جانبيّة .وهي اكثر وقوعاً من الاولى لكنّها اخف وطأة واقل ضرراً . فاذا كانت ذات مراكز متعددة تُسمَّى موجيّة لتموّج حركتها وتموّج سطوح المائعات كما جرى ذلك سنة ١٨١٠ في قاراقاس عاصمة فنزويلا حيث مادت الارض وتموّجت كأنّها الماء المغلي

ذكر كمال الدين الآنف الذكر تموُّج ارض حلب في زلزال سنة ١١٣٨ (٥٣٣ هـ) قال :« . . وشوهدت الارض تموج والاحجار عليها تضطرب كالحنطة في الغربال . . » وقد تموّجت الارض في زلزال قلبريّة تموُّج مياه البحر اثناء الرياح العاصفة فأصاب الناس دواخ اشبه بدوار البحر

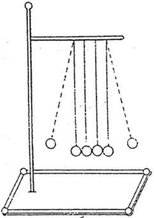
وقد ثبت وقوع هذه الحركات التموُّجيّة بما شوهد من تمايل الابنية ووجهة شقوق الحيطان وانحراف صفوف الاشجار المغروسة على خط مستقيم . واما الزلزلة المستديرة فنادرة الوقوع والحمد لله لما تحتها من الاضرار الجسيمة

تأثيرها في باطن الارض

لاحظ البعض ان قوّة الزلزال تضعف كلّما تُوغل في باطن الارض فلا يُشعر به في في اعماق الآبار مثلاً كما جرى ذلك لكثير من المعدّنين . وما هذا بالامر العجيب الغريب بل هي مسئلة بسيطة يعرفها من لهُ المام بالفلسفة الطبيعيّة اليك بيان وقوعها كما في الشكل «ل ». وهي ان يؤخذ محور افقي عُلّق فيه بواسطة خيوط بضع كُريّات وتُفرد منها واحدة او اثنتان وتُلقيان على الباقيات فتنفرد من الجهة المقابلة واحدة او اثنتان واما الكُريّات الموجودة في الوسط فلا تتحرّك . فاذا قابلنا بين هذه التجربة وفعل الزلزال في طبقات الارض انكشف لنا السرّ وانجلى الامر . فاذا فرضنا مركز الزلزال في نقطة « ا » كما في الشكل « ع » نرى الاهتزازات تنتشر من النقطة المذكورة فالدال فالجيم والهاء وتنتهي في الباء حيث تمسّ سطح الارض فتزلزلها . لكن النقاط د ج ه ثابتة صماء لا تتحرّك كما شاهدنا ذلك في تجربة الكرّيات . فتكون النقطة « ب » سطح مركز الزلزال وعليها تُشعر الهزّات الابتدائيّة . فهذا ولا شك سبب الشعور بشدّة الزلزال في اعالي المنازل اكثر من اسفلها



الشكل ع



الشكل ل

انتشارها

قلنا انَّ لكلِّ زلزال مركزًا في باطن الارض تشتدُّ فيه الصدمات ومنهُ تنتشر الاهتزازات على طريقة تموّج المائعات. فقد توفّق الجيولوجيون الى تعيين شروط انتقال الهزّات وانتشارها في بعض الزلازل على وجه التقريب. فمن تحليل هذه الشروط عيّنوا بالحساب مركز الحركة وبعبارة اخرى نقطة الزلزال الابتدائية. فوجدوا انَّ عمقها لا يتجاوز ثلاثين كيلومترًا ولا يبلغ ٤٨ كيلومترًا الّا نادرًا. وعرفوا ان الهزّة التموّجيّة لا تكون في الغالب مستديرة اي لا تنتقل بسرعة واحدة الى اطراف مركز الحركة كما يظهر لاول وهلة من الشكل ع. فقد يحول دون ذلك اختلاف الموادّ التي تتركّب منها الارض والموانع الموجودة في طريقها كالحفر والمناور وسلاسل الجبال. الخ

فقد شاهد العلماء من قديم انَّ الهزّات الارضيّة وخصوصًا البنائيّة منها تتّبع خطوط الجبال والحُفر بدلًا من ان تتجاوزها. فقد كانت جبال الابنين في زلازل ١٧٨٣ و ١٧٨٦ الكبيرة واقيًا منيعًا لأيالات ايطالية الشرقية بينا عبر الجبال المذكورة الغربي تزلزل زلزالًا شديدًا. وجبال الأند ايضًا سدّ طبيعي قلّما تتجاوزهُ الزلازل الناشئة في الجهة الغربيّة من جنوبي اميركا. وفي زلزال اسبانية الاخير انتشرت الهزّات موازية لجبال تلك البلاد

مطبوعات شرقية جديدة

Catalogue de la Bibl. Khédiviale
Section Européenne — Orient.
par le Dr B. Moritz, pp. 557, *le Caire*, 1899
قائمة المطبوعات الشرقيَّة المصونة في الكتبخانة الخديويَّة

قد اثنينا مرارًا على همَّة المستشرقين الذين ينشرون قوائم مدقَّقة للكتبخانات الشرقيَّة المصونة في عواصم اوربَّة. وقد اقتفى آثارهم في ذلك اصحاب المكتبة الخديويَّة فنشروا بالطبع قبل بضع سنين في سبعة اجزاء قائمة المخطوطات الشرقيَّة التي جمعتها الحكومة المصريَّة. لكنَّ خزانة الكتب الخديويَّة اغنى من ذلك فانَّ فيها نحوًا من خمسة آلاف كتاب آخر سعى في تأليفها المستشرقون الاوربيون في دول شتى. وهذه المطبوعات لم تدوَّن الى اليوم اسماؤها ومضامينها فقام بهذا العمل المفيد الدكتور ب. موريس ناظر الكتبخانة حاليًا. ومعلوم ما يقتضي الإقدام على مثل هذا المشروع من الجدّ والنصب فاكتسب المؤلف بهذا العمل شكر كلّ من ينتفع بمطالعة الكتبخانة المذكورة. وقد اعجبنا تقسيم الكتاب الى فصولٍ شتى قريبة المنال مع الفهرس المطوَّل لاسماء المؤلفين الذين ورد ذكرهم في هذه القائمة

Publications de l'École des Langues Vivantes
تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان
Texte arabe édité par O. Houdas, *Paris*, 1899, pp. 227

كان المعلم الفاضل هوداس مدرّس اللغات الشرقيَّة في باريس نشر قبل سنتين تاريخ السودان لعبد الرحمان بن عبد الله بن عمران السعدي. فاصاب عملهُ حظوى لدى العلماء لاستلفات بلاد السودان انظار الدول في عهدنا. فاحبَّ ان يردف هذا الكتاب بتأليف آخر من جنسهِ وهو «تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان». وهو يتضمَّن تراجم ثمانية وتسعين ملكًا من ملوك السودان ظلَّموا صاحبا في احد عشر بابًا. امَّا مؤلف الكتاب فكان في المئة الثانية عشر للهجرة ولم يُذكر اسمهُ ولتأليفهِ شأن كبير لانهُ يصف اخبار اوطانهِ ويترجم سير اهل زمانهِ بيد انهُ ركيك العبارة. وفي ختام الكتاب نبذة في تاريخ بلاد سكت وجدها المسيو هوداس في مكتبة باريس العموميَّة فألحقها بهذا التأليف

Inscriptions Juives de K'ai-fong-fou
par le P. Jérôme Tobar. *Chang-hai* 1900, *pp.* 112

كتابات ليهود مدينة كيفنغ فو في الصين

سبق لنا في المشرق (١ : ٤٧٦) ذكر المطبوعات الصينيَّة التي يهتمّ بنشرها الآباء اليسوعيّون في المطبعة التي انشأوها في شنغاي من اعمال الصين. واليوم قد اتانا الجزء السابع عشر من مجموعهم المعنون بالمنثورات الصينيَّة (Variétés Sinologiques) وهو يحتوي ابحاثًا غاية في الاهمّية عن تاريخ اليهود في بلاد الصين مع ذكر ما وُجد من الكتابات الصينيَّة في كنيس قديم في مدينة كَيفُنْغ فو. وهذه الكتابات اول من وقف عليها ونشرها الاباء اليسوعيُّون قبل مئتي سنة فاعاد النظر فيها الاب توبار في هذا العام وشرحها شرحًا وافيًا واصلح اشياء كثيرة كان وَهَم فيها علماء العاديّات الصينيَّة. ومن يتصفَّح هذا الكتاب وما اودعهُ مؤلّفهُ من الفوائد التاريخيَّة والمعارف اللغويَّة يصادق ولا شكّ على الثناء الذي نالهُ صاحبهُ من اصحاب المجلات العلميَّة

١ً الدرّ المنتقى لجيد ذوي التقى

٢ً سعادة المغرم في عبادة البتول مريم (تأملات للشهر المريمي)

عرَّبهما حضرة الاب الجليل الفاضل القس افرام الديراني احد مدبري الرهبانية المارونية

يسرُّنا ان تتوفَّر في اقطارنا الكتب الروحية. وحضرة الاب الفاضل القس افرام الديراني ممَّن يسعون وراء هذه الغاية المحمودة. وممَّا يدلُّ على همَّتهِ ونشاطهِ انَّهُ عرَّب وطبع في وقت واحد في بيروت وبعبدا كتابين من هذا الصنف يحتوي الاول حكايات تقويَّة كاخبار الرهبان والنسَّاك والثاني على تأملات روحيَّة تتلى مساء كلّ يوم من شهر ايار المخصص باكرام البتول. هذا ومع اقرارنا بفضل المترجم نقول اننا وجدنا في ثاني الكتابين امورًا استغربناها لا نعلم أَهي من الاصل الفرنسوي او من سوء ترتيب الحروف او من النقل العربي كذكر مدينة «اوكسنك Oxinque» (٢ : ٣٩٥) ولعلَّهُ يريد اوكسيرنكس Oxyrryhncus وهي مدينة البهنساء وكذكر موريس (؟) بطريرك القسطنطينية (ص ٢٢٩) والكاهن الشهيد يوستينوس بدلًا من لوسيانوس (ص ٢٠٨). وكنسبة الحرب الوارد ذكرها في ص ٤٦ — ٥٣ الى الهراطقة اصحاب الاصلاح الموهوم. وقد وجدنا في بعض الروايات ما يُشتمّ منهُ رائحة الخرافات كقصة قسطنطين

والكتز (ص٣٧٣) ومنها اقاصيص مختلقة كقصّة الفتاة (ص٢٥٧) . هذا وان كثيرًا من الاعلام التي ذكر المعرب اصلها الاعجمي مغلوطة نحو Ccutari (Scutari) و -Mauri ces (Maurice) و Sabrice (؟) و NiséPhore (Nicéphore) و Charle les Bsorromés (Charles Borromée) الخ . ونتمنى للكتابين قبولًا ورواجًا

كتاب الجلاء المسيحي

لسيادة المونسنيور اوجانيوس كوليه

ترجمهُ من الافرنسية الى العربيَّة الخوري يوحنَّا رزق الماروني

هذا الكتاب في اصلهِ تعليم موسَّع للعقائد النصرانيَّة او بالحري خلاصة لاهوتيـة صنَّفها نائب رئيس اساقفة ريمس لشبَّان العصر ليثبت لهم بالبرهان صحّة اسرار الديانة الكاثوليكيَّة ويردّ على حجج المعترضين ويبيّن ما من الائتلاف والوفـاق بين الدين والعلوم المستحدثة وانَّ الاكتشافات الجديدة زادت ايماننا ثباتًا فضـلًا من ان تقوّض اركانهُ . فنثني على همّـة حضرة الخوري يوحنّا رزق رئيس مدرسة القديس يوسف في جزّين لتعريبهِ الجزء الاول من هذا الكتاب المفيد

كتاب الدرّ المكنون في جميع انواع الصنائع والفنون

جمعهُ فؤاد سمعان الخازن . (مطبعة الارز ١٩٠٠ صفحاته ٤٦)

هو الجزء الاول من كتيّب جمع فيه صاحبهُ نحو مئة فائدة صناعية نقـلًا عن المجلات والكتب الآتي ذكرها: الطبيب والمقتطف وتقويم البشير ومجلة المشرق وكتاب الدرّ المكنون في الصنائع والفنون وكيميا بيرون الفرنسوي ل . ش

هدايا أرسلت الى إدارة المشرق

١ قوانين اخوية القديس لويس غرتراغا النزيريّة

٢ رسالة رعائية لسيادة المطران بولس بصبوص رئيس اساقفة صيداء للموارنة

٣ البعثة النمسويّة الى اليمن -Die Südarabische Expedition... dar gestellt von Dr C. Graf Landberg

٤ مرثية المعلم الفاضل واللغوي الشهير سعيد افندي الشرتوني لكبير آل طرازي الكنت اطون المتوفى حديثًا في حادثة تحطّم التربيليّة سهام

شذرات

مؤتمر الآثار النصرانيَّة في رومية عُقد هذا المؤتمر في ثاني يوم عيد الفصح ١٧ نيسان وانتهى في ٢٥ منهُ وقد اتتنا الجرائد بالتفاصيل عمَّا دار فيهِ من الابحاث المهمة التي اشترك فيها عدد كبير من علماء العاديَّات وممَّن ناب عن الشرق حضرة الاب لكرنج الدومينيكيّ وحضرة الاب جرمر دوران الصعودي ولكليهما الباع الطولى في معرفة الاراضي المقدَّسة ومآثرها القديمة. وسوف تُنشر بالطبع اعمال هذا المؤتمر فاذا ما اطَّلعنا عليها افدنا قرّاءنا عن مضمونها

مجتمع طبي في ٢٦ و٢٧ من الشهر الحالي يعقد اساتذة مكتبنا الطبي مع الدكاترة المتخرّجين فيهِ سابقًا مجتمعًا طبيًّا يتفاوضون فيهِ عن بعض القضايا العلميَّة المنوطة بفنّ الطب في بلادنا وقد وقفنا على شيء من الابحاث التي ينوون الخوض فيها فاذا هي كلها جديرة بالاعتبار

اكتشاف كتابة مصريَّة قديمة قد اكتشف المسيو لوغرين (Legrain) في هيكل الاله فتاح المجاور لهيكل كرنك كتابةً يرتقي عهدها الى الملك تحوتمس الثالث من الدولة الثامنة عشرة (راجع المشرق ١: ٥٨٠ و ٨٨١) ومُفادها انَّ الفرعون المذكور قد رمَّم هذا الهيكل بعد فتحهِ لسوريَة شكرًا للاله فتاح

شهادة تاودوريطس في يعقوب اخي الرب قرأنا في تاودوريطس احد معاصري القديس يوحنَّا فم الذهب شهادة في انَّ يعقوب اخا الرب ليس ابنًا للقديس يوسف وان يوسف لم يكن مزوَّجًا قبل اقترانهِ بالعذراء. قال في شرح الفصل الاوَّل لرسالة القديس بولس لاهل غلاطة (العدد ١٨): «وكان يعقوب يُدعى اخا الرب ولكن لم يكن اخاهُ بالطبيعة. كما أنهُ لم يكن ابن يوسف من زيجة سابقة كما زعم البعض بل كان ابنًا لكلاوفا وابن خالة الرب»

(Οὔτε μὴν ὥς τινες ὑπειλήφασι τοῦ Ἰωσὴφ υἱὸς ἐτύγχανεν ὤν, ἐκ προτέρων γάμων γενόμενος, ἀλλὰ τοῦ Κλωπᾶ μὲν ἦν υἱὸς, τοῦ δὲ Κυρίου ἀνεψιός)

فكاهة رياضيَّة لحضرة الاب الفاضل الخوري جبرائيل رزق مرهج

وفد زائر اديب على فقيه لبيب. فحيَّاهُ بالسلام. وقام بين يديهِ باحتشام. فعجب الفقيه

لآدابهِ. وقال في نفسهِ: ما هذا الّا من آل العلم وأربابهِ. ثم دعاهُ الى مجالستهِ. واخذ في مكالمتهِ ومؤانستهِ. وفيما هما يتجاذبان أطراف الحديث. استنسب الفقيه صديقهُ الحديث. فاجاب: لستُ ممَّن يفاخرون بالانساب. ويتكلّمون على شرف الاحساب. بل انما دأبي خدمة الفقهاء والحكماء. ومجالسة الكتّاب والعلماء. شُغفتُ بالعلم فجبتُ لاجلهِ الآفاق. وانتذرت على نفسي تطلُّب الحقائق فازدريت بما سواها من لامعٍ برّاق. لي اخ حذا حذوي فاصاب بذلك فلاحاً. وزرع في جنة آمالهِ حب النشاط فجنى منهُ تقدماً ونجاحاً. «كلانا رُباعيُّ الاسم. امَّا انا فاسمي في حساب الجمَّل يعدل قوَّةً من قوّات خُمس ثالثي دليلُها مكعَّب اوّلي وواحد. وفضل اسم اخي على اسمي يعدل خُمس اسم اخي. ولو ضُرب هذا الفضل باسمي لحصل قوة من قوّات خُمس ثالثي دليلها القوَّة الرابعة لاولي. ثمَّ ان اول اخي يعدل نصف اوّلي واربعة أمثال ثالثي الّا واحداً. ونسبة اوّلي الى اوّلهِ كثالثي الى ثالثهِ. وثانيَّ الى ثانيهِ الذي يعدل مربَّع نصف ثالثي في مجموع اوَّلي وثالثي كنسبة ربع اوّلهِ الى ثالثي» وكلُّ ذلك لا يخفى على امثالك. فبالاشارة والتلميح غِنًى عن التصريح. والسلام

كيف تحلّ هذه المسألة الدليلية بمبادئ الجبر الاعتياديَّة

جوابان على شرح الباء العاميَّة في المضارع ورد علينا رأيان جديدان في شرح الباء العاميَّة في المضارع. الاوَّل لجناب المسيو يوسف كرولّا كنشليار قنصليَّة ايطالية وللاب خليل اده اليسوعي. وهو انَّ الباء متعلّقة بمحذوف كثيرًا ما يظهر وهو «عمَّال» فيقولون «عمَّال باكتب» اي انا عامل بالكتابة. والرأي الثاني لحضرة الخوري الياس زيادة احد اساتذة مدرسة مار يوحنَّا مارون وهو انَّ الباء مقتطعة من فعل «بدأ» فيكون معنى «باكتب» ابدأ اكتب

أَسْئِلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ

س سُئل صاحب الضياء (٢: ٣٤١) عن معنى «كسيم» الواردة في الجزء الخامس من كتاب الف ليلة وليلة للآباء اليسوعيين. فكان جوابهُ ما يأتي: «امَّا لفظة الكسيم فلا نعلم المراد بها ولم نرَها في شيء ممَّا وقفنا عليهِ. فلعلَّها اعجميَّة او محرَّفة»

معنى لفظة كسيم

ج ان المراد بلفظة كسيم ظاهر من سياق العبارة اي انهـا بمعنى الخراج والاتاوة والضرائب كما يتحصَّل ذلك من تتمَّة الحكاية . واما اصل اللفظة فعبرانيَّة محرَّفة وهي فيها « مكسيم » מכסים ويقابلها حرفيًا بالعربيَّة « المكوس » جمع مكس . وعليه فلفظة كسيم قد أُسقط منها الميم . اما جهلاً من الناسخ الاول . واما تعمُّداً لحملها على وزن عربيّ وقد جرَّده العرب كما ذكرنا امثلة على ذلك في مواضع شتى في المشرق (الاب انستاس)

س وسأل من البرازيل جنـاب الاديب يوسف ضاهر ما هو اصل عادة بعض الشعوب كاهل البرازيل ولبنان في ضرب التنك وعمل الضوضاء عند خسوف القمر

اصل عادة بعض الشعوب في عمل الضوضاء عند خسوف القمر

ج اصل هذه العادة من خرافات بعض الامم غير المتمدّنة الذين استغربوا هذا الظاهر الجويّ في سالف الاعصار فتأوَّلوا لهُ التآويل الشتى منها ان تنّيناً يحاول ابتلاع القمر فظنُّوا انهم بجلبتهم يهوّلونهُ ويردُّونهُ عن فعلهِ . وقد بقيت آثار هذه العـادة الى يومنا في بعض البلاد عند الجهَّال وكان الاولى بهم ان يحيدوا عن مثل هذه العادات الذميمة

س سألنا احد افاضل الكهنة الموارنة في حلب ما هو معنى « سيِّد » باليـاء المشدَّدة المفتوحة وهل تأتي بمعنى الكلب

معنى السيِّد

ج السِّيَّد بكسر الاول وتشديد المثنَّاة مع فتحها التَّيس وقيل المسنّ من المعز . كذا وردت في التاج عن ابي عليّ . ويجوز فيها سَيِّد على مثال كَيِّس

س وسألنـا احد ادباء بغداد: ١ً ما هو « تاريخ خلافة عمر الثاني » الذي استشهد به العلامة دي خوي (Goeje) في كتاب فتوح البلدان للبلاذريّ (ص 66) حيث اتى بشاهد على لغة الانباط . ٢ً ما اصل اللفظة الفرنسيَّة « ziggourat » الوارد في كتب الفرنج عنـد كلامهم عن البروج ذات السبع طباق المقامة للسيارات السبع عند الاقدمين

تاريخ عمر الثاني واصل لفظة ziggourat

ج نجيب على (الاول) إن التاريخ المذكور نبذة من كتاب قديم لا يُعرف مؤلفهُ عنوانهُ « العيون والحدائق في اخبار الحقائق » طُبعت في ليدن سنة ١٨٦٥ . اما الشاهد المطلوب عن لغة الانباط فقد ورد في الصفحة ٣٢:

« اقبل مسلمة والعباس في الجيش حتَّى نزلا النُّخيلة من ارض الكوفة فقال مسلمة : ليت هذا المرونى (ويُروى المروزى) لا تكلّفنا اتباعهُ في هذا البرد . فقال حسان النبطي مولى بني شيبان : انا اضمن لك ان يزيد لا يَبرَحْ الأرْصَةَ يريد لا يبرح البرصة . فقال العبَّاس : لا امَّ لك انت بالنبطيَّة ابصر منك بهذا . فقال حسَّان : انبط الله وجهك لئن اهر ليس ألَيه طابِقْ الحلافة يريد احمر ليس عليهِ طابع الخلافة . فقال مسلمة : يا با سفين لا يحوذنَّك قول ابي العبَّاس . فقال حسَّان : انَّهُ احمق لا يارف يريد احمق لا يعرف... »

ونجيب على (الثاني) انا لم نجد في المعاجم الكبرى هذه اللفظة . والارجح عندنا انها مشتقَّة من السريانيَّة ܐܚܕܐ لعلهُ يُراد بها الحرز والتميمة كانَّ القدماء بنوا هذه الهياكل كاحراز يتَّقون بها الشرّ

س وسأل حضرة الاخ مبارك ثابت اللبناني : لماذا تيبس شجرة الصنوبر اذا نُزع عنها ورقها بخلاف بقيَّة الشجر . ١ً كيف يمكن العنكبوت ان تمدّ خيطها في الهواء فتستند اليهِ ألعلَّها تطير ؟

الصنوبر وورقهُ

ج نجيب على الاول انَّ الصنوبر يتنفَّس من ورقهِ فاذا نُزع عنهُ الورق تامًا يبس كالحيوان اذا سُدَّت سوامُّهُ ومنافسهُ . وهذا عامٌ في الشجر ولعلَّ ذلك يظهر في الصنوبر اكثر من غيرهِ

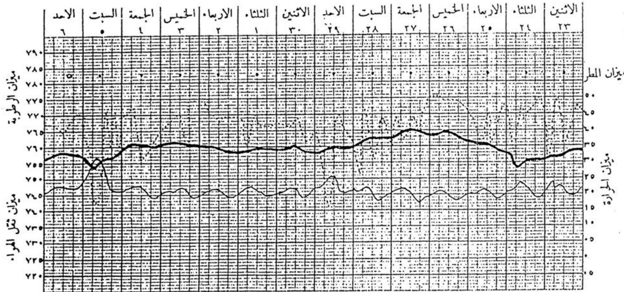
العنكبوت ونسيجها

نجيب على الثاني انَّ العنكبوت اذا مدَّت خيطها فتزت معهُ واستندت اليهِ وهو يحملها لخفَّتها ومتانة الخيط . والخيط سندٌ في الهواء يمكّنها من تتميم حركاتها ل . ش

(المشرق) لدينا عدَّة اسئلة عن موادَّ لاهوتيَّة وكتابية نشرحها ان شاء الله قريبًا في مقالة منفردة

اصلاح غلط = ص ٣٥٩ س ٦ « السيد فرنسيس الشمالي » والصواب « السيد جرمانوس » ص ٣٩٩ س ٢٦ « مات هذا المولود طفلًا بعد سنتين » والصواب : « انَّهُ مات سنة ١٨٣٢ وعمرهُ ٢١ سنة »

قائمة للآثار الجوّيّة من ٢٣ نيسان الى ٦ أيار ١٩٠٠



انَّ الخطَّ الضخم (ـــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتابع (ـــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات